نظرات موضوعية
في قضايا إنسانية

الأستاذ الدكتور
محيي الدين عفيفي أحمد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أحمد، محيي الدين عفيفي
نظرات موضوعية في قضايا إنسانية
الأزهر الشريف ـ مجمع البحوث الإسلامية
١ـ النظرة الإسلامية للعلاقات الإنسانية
٢ـ مسؤولية الإنسان في الحياة
٣ـ الإسلام وتمكين الشباب
٢٥٢ص، ٢٠سم
العنوان: مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

رقم الإيداع: ٢٠٨٨/ ٢٠١٨
الترقيم الدولى: ٤-٢٧١-٢٠٥-٩٧٧-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

يعيش العالم حالة من الصراع وعدم الاستقرار، نتيجة انتشار موجات العنف والتطرف والإرهاب، واستباحة دماء الأبرياء من خلال عمليات التفجير والتدمير التي طالت كثيرًا من المناطق في دول مختلفة، وهي جرائم وحشية تمارس ـ زورًا ـ باسم الدين، مما أدى إلى تشوية صورة الإسلام والمسلمين.

إن انتشار الظلم وغياب العدالة وعدم المساواة بين الشعوب أدى إلى وجود ضحايا من الفقراء والبؤساء، ، بسبب ازدواجية المعايير حتى أصبح المسؤول عن تطبيق مواد العدالة في القانون الدولي، هو نفسه أول من يكسرها وأول من يفسرها على هواه، وحسب حاجاته.

فلم يعد هناك مجال لأن يلتفت من يملك القوة والثروة والسلطة لصرخات المظلومين في عالمنا المعاصر، ومن ثم فإننا بحاجة إلى بيان النظرة الموضوعية الإسلامية لعدد من القضايا الإنسانية المتعلقة بالعلاقات بين الناس، وما ينبغي أن تقوم عليه من التعايش، والتعاون والسلام، والحوار الذي يحترم التعددية في تجلياتها المختلفة؛ الدينية والمذهبية والفكرية وغير ذلك.

إن الإسلام كرّم الإنسان لإنسانيته، وليس لدينه، أو مذهبه، أو لونه ... لأن الإنسان مسؤول في نظر الإسلام، وله دور حيوي في أسرته ومجتمعه ووطنه، خاصة في هذه الظروف التي ينتشر فيها خطر العنف

والإرهاب، مما يؤدي إلى تأجيج العداوة بين الناس، واستباحة حرماتهم، وإهدار كرامتهم، ونشر ثقافة الكراهية، وهذا يخالف الهدف من رسالة النبي ﷺ وهو تحقيق الرحمة بين الناس جميعًا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]؛ لأجل تحقيق السلام بين البشر، وبناء العلاقات الإنسانية على أسس من المحبة والتعاون المشترك، وإنصاف المظلومين، لأن التعايش السلمي ضرورة حياتية لا يستغني عنها البشر في أي زمان ومكان.

إن التراجع الخلقي، والهجر للقيم الإنسانية، بات ينذر بالخطر ويبعث على الفزع، ويدعو إلى سرعة تضافر الجهود لانتشال الناس من هذا المنعطف الخطير الذي يهدد السلم والأمن المجتمعي.

إن عملية تربية الضمير والوعي بالمسؤوليات هي أساس الإصلاح في الحياة؛ ليكون الإنسان مؤتلفًا مع مجتمعه، ملتقيًا معه، لأن المجتمع الفاضل لا بد له من تربية الضمير لحمايته من الانحرافات، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الفهم الصحيح للدين، والاستمساك بمبادئ هذا الدين التي تقوم على الاستقامة، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك .. «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، فقد جمع النبي ﷺ بين الاعتقاد القلبي والسلوك العملي في فهم الدين، والتعامل مع الناس، بحيث يعيش الإنسان حالة من الرقابة الذاتية تجعله يصل إلى معاني الإحسان.

إن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام مشكلة عند المسلمين، لأنه يعني العيش في سلام واستقرار وتحقيق الأمن لجميع الناس، ولم يكن سبيلًا لقتل الناس أيًّا كان دينهم أو مذهبهم، أو فكرهم، أو ترويعهم واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

فالإسلام ليس قضية شخصية تختلف فيها وجهات النظر، ويعمل كل فريق على استغلالها لخدمة أغراضه ومصالحه؛ لأن الأديان ما جاءت إلا لرحمة وسلامة الناس، إن الدين يعمل على صناعة الحياة وصيانتها على أساس من الحقوق والواجبات، فالإسلام احترام لاختيارات الناس في الحياة، وتحرير من أي اكراه تحت أي مسمى لحملهم على اعتناق فكر معين، قال الشيخ محمود شلتوت «الفهم الإنساني في الإسلام ليس دينًا يُلتزم، لقد اتَّصلَتْ بالقرآن، بعد أن التحق محمد ﷺ بربه، أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصًا في معنى واحد، ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب، لا على أنها دين يُلتزم، وإنما هي آراء وأفهام، وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة إلا اجتهادًا فرديًا، لا يوجب واحدٌ منهم على أحد من الناس أن يتبعه»[1].

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يحب أن يكون عمليًا ـ كما

(١) الإسلام عقيدة وشريعة، ص٨.

يقال ـ فلم يكن يعلمهم الدين خالصًا، وإنما كان يعلمهم الدين، ويبين لهم كيف يلائمون بينه وبين حياتهم اليومية، وكيف يطابقون بينه وبين ما يأتون من الأمر، وما يَدعُون، ويؤدب نفوسهم بأدب الدين.. كما أن رعايته لشئون الدين قد حملته على أن يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي ﷺ ولا أيام أبي بكر رضي الله عنه[1].

إن التاريخ خلّد موقف عمر رضي الله عنه حينما صلّى خارج كنيسة القيامة، احترامًا وتقديسًا لحق النصارى في كنيستهم، حتى لا يأتي من بعده ويحاول ادعاء الملكية للمكان الذي صلّى فيه عمر فيما لو صلى داخل الكنيسة.

لقد فهم عمر رضي الله عنه الإسلام وطبّق فهمه المستنير له عمليًا، عمر الذي دخل بيت المقدس وأعطى أهلها أمانًا على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم، فكان قدوة وأسوة في سماحته وعدالته.

إن الإسلام أمانٌ وسلامٌ ورحمةٌ، وقد أوصانا رسولنا الكريم أن نتخلق بأخلاق الله، «الراحمون يرحمهم الرحمن».

لقد عالج هذا الكتاب عددًا من القضايا الإنسانية المهمة في حياة الناس بأسلوب واضح بعيدًا عن التفاصيل التي قد تؤدي إلى إرهاق

(١) الشيخان ـ د. طه حسين، ص١٩٤ – ١٩٦.

القـارئ، واشـتمل الكتـاب أيضًـا علـى تصـحيح لعـدد مـن المفـاهيم المغلوطة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د/ محيي الدين عفيفي أحمد

أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

السلام ممكن دائمًا(*)

الحضور الكريم، الوزراء، والزعماء، ورجال الدين، السيدات، والسادة، أحييكم بتحية الإسلام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

نجتمع في هذا الملتقي الدولي الذي يأتي تحت عنوان: «السلامُ ممكن دائمًا»، ونحن نمر بأحلك فترة من فترات التاريخ الإنساني؛ نظرًا لانتشار الحروب وما نتج عنها من قتلٍ وسفكٍ للدماء، وضحايا من الرجال والنساء والأطفال، وملايين اللاَّجئين الذين لا مأوى لهم، وقد أغلقت كثير من الدول حدودها في وجه اللاجئين، وبررت ذلك بأمور مختلفة.

وفي ظل هذه المآسي التي أزكمت الأنوف برائحة الدم، أصبحت الحاجة ملحة وضرورية لوضع حلول عملية لهذه الأوضاع .. إن الحروب سبب للفقر والمرض والجهل، ولا بد من انتشال الضحايا من واقعهم البئيس، إعلاءً لقيم الإخاء والتراحم والتعاون بين الناس.

ولا جدال في أن الحوار قد أصبح أكثر إلحاحًا من أي وقت

(*) كلمة ألقيتها في الملتقى الدولي: (حوار الأديان والثقافات) بمدينة (تيرانا) العاصمة الألبانية، تحت عنوان: (السلام ممكن دائمًا) في الفترة من ٦ – ٨ سبتمبر ٢٠١٥م وقد كانت هذه كلمة المسلمين في هذا الملتقي الذي تم بالتعاون بين جمعية: سانت إيجيديو الإيطالية، وكنيسة ألبانيا الكاثوليكية والأرثوذكسية.

مضي، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.

ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان، وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس.

إن الحوار بين الأديان لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا إذا ساد التسامح بين المتحاورين، وحلّ التسامح محل التعصب.

والموقف الإسلامي -في أي حوار ديني- موقفٌ منفتح على الآخرين، ومتسامح إلى أبعد الحدود، فقد أقر الإسلام منذ البداية التعددية الدينية والمذهبية والثقافية، وصارت هذه التعددية من العلامات المميزة في التعاليم الإسلامية.

والواقع أن قضية الحوار قد أصبحت تشكل في عالم اليوم ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على العديد من المشكلات الحياتية على جميع المستويات[1].

يقول عالم اللاهوت الألماني المعروف: ((هانز كونج)): «لن

(١) الخطاب الغائب، عمر حسنه، ٧١.



يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان»[1].

إننا نعيش اليوم في عصر ليس فيه مكان للانعزال والتقوقع حيث أصبح العالم مثل «القرية الكونية».

إن مستقبل الإنسانية يتعلق بحلّ إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب.

إن التفاهم والتعايش بين طرفين مختلفين في الفكر والعقيدة لا يتحقق إلا إذا توافر لدى كلٍّ منهما رغبةٌ في العيش المشترك وتسامحٌ حول الأُمور المختلف فيها، وقبولٌ من الطرفين بالتعددية العقائدية. ولا يكفي أن يؤمن بالتعايش والتسامح طرفٌ واحد بينما الطرف الآخر ينكر ذلك[2].

وكيف لنا أن نتصور قيامَ تعايش بين إنسان راغبٍ فيه، ومؤمنٍ بوجوبه، وصادقٍ مخلص في سلوكه إليه، وآخر يرفض ذلك ويعتقد أنه من أمة تفضل جميع الأمم؟!

كيف يمكن لإنسان سويٍّ بتفكيره، إنسانيٍّ بنظرته، متسامح بسلوكه أن يعيش أو يتعايش مع هذا النمط من الناس.

(١) الحوار الديني وأسس التفاهم المدني، محمد محفوظ، ٥.
(٢) انظر: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، تأليف: أليكسي جورافسكي، ترجمة د. خلف الجرار، ٢١.



إن الحياة المشتركة مع الآخرين تحتاج من جميع الأطراف أن يقبلوا التعايش مع التزام العدل والمساواة والسماحة والاحترام المتبادل.

إنه ليس من التسامح في شيء أن نقف موقف المتفرج حيال القسوة والظلم وغير ذلك مما يتعرض له الناس بصرف النظر عن العرق أو اللون أو العقيدة.

إنه برغم بلوغ الإنسان المعاصر ذروة التقدم العلمي، إلا أنه لم يصل إلى السعادة المنشودة والاطمئنان والسكون، ولن يصل حتى يحقق متطلبات الأمنِ الحضاري والأمنِ الروحي.

وعلى الرغم من تطور حياة الإنسان وانطلاقه نحو آفاق بعيدة المدى في تحقيق أسباب الرفاهة والدعة، فإنه لم يبلغ كنه السعادة بعد، بل إنه لم يزد إلا ضحالة وبعدًا عن سبيلها.

لقد تمكن الإنسان بتقدمه العلمي والتكنولوجي أن يحقق لنفسه تيسيرَ المعيشة من الناحية المادية، وكان يظن أن ذلك هو نهاية المطاف؛ لأنه أنكر الاعتراف بالروح، وكلما أهمل الإنسان روحَه ولم يُقِم لها اعتبارًا، وراح يُشبع رغبات الجسد والمادة، زادت حياتُه سوءًا وترديًّا وافتقادًا للاطمئنان والسعادة.

وقد أدي ذلك إلى أزمات في حياة الإنسانية، ومن أبرزها: القلق

والحيـرة وتعـاطي المخـدرات والظلـم والإرهـاب، واكتفـى العـالم الحرب بمشاهدة مآسي الحروب في العـالم الثالـث دون التـدخل لنـزع فتيلهـا، وإيجـاد الحلـول المناسـبة لهـا، بـل لقـد تـم اسـتغلال الصـراع لتحقيق أطماع مختلفة.

والأديـان قـادرة علـى تغييـر السـلوك الإنسـاني وتحقيـق التـوازن والانضباط فيه.

لقد كثر الحديث في جميع المحافل المحلية والإقليميـة والدوليـة حول حقوق الإنسان، لدرجة يتصور المرء معها أنـه لـم يكـن هنـاك مـن قبل مراعاة لحقوق الإنسان على وجه الإطلاق!

إن كثرة الحديث عن حقوق الإنسان إنما يعني ضمن مـا يعنـي أن الإنسان المعاصر يفتقد الشعور والوعي بهـذه الحقـوق. ومـن ثـم يـذكر نفسه بها، ثم لا يكتفي بالتذكير والتذكر فيسجل هـذه الحقـوق في عهـود ومواثيق عديدة وقعت عليها كل دول العالم.

وكـم تحـدث عنهـا المتحـدثون عـن حقـوق الإنسـان وحللهـا المحللـون مـن الفلاسـفة والمصـلحين وبـذلوا جهـودا كبيـرة في صـياغة هذه الحقـوق وتحسـين هـذه الصـياغات، حتـى وصـلت إلـى صـياغات دقيقة، اتفق عليها الجميع.

والحقيقة التي ربما تكون قد غابت عن كل هؤلاء، أن هذه الحقوق التي يتحدثون عنها، إنما هي حقوق فطر الله الناس عليها، وأن البشر منذ حضاراتهم الأولى في الشرق القديم قد أدركوا هذه الحقوق وحافظوا عليها، وعبروا عنها في رواياتهم وكتاباتهم، وفي معاهداتهم ووثائقهم الدبلوماسية، كما كشفت عن ذلك بعض المعاهدات التي عقدت بين الدول والشعوب القديمة.

إن القارئ لتلك التشريعات، ولنصوص هذه المعاهدات، يكتشف أن الإنسان القديم قد أدرك جيدًا حقوقه، وعرف جيدًا واجباته إزاء غيره من البشر.

وقد ترسّخ هذا الوعي عبر العصور من خلال تعاليم الديانات السماوية، وخاصة الدين الإسلامي الذي قدم أدق صور الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية، حيث طالب أتباعَهُ والمؤمنينُ به بالحفاظ عليها، ووعدهم على ذلك بالثواب في الدنيا والآخرة.

ولا شك أن فلاسفة الغرب المحدثين من أمثال جان جاك روسو، وفولتير، ومونتسكيو، قد لعبوا دورًا كبيرًا في إيقاظ وعي الأوربيين نحو الحقوق الأساسية للإنسان وعلى رأسها حق المساواة والحرية والإخاء والعدالة، وقد تطور هذا الوعي حتى صيغت تلك العهود والمواثيق الدولية.

ولكن الممارسة الفعلية وخاصة في عصرنا هذا، قد كشفت أن الخطاب النظري الذي كرسته هذه العهود وتلك المواثيق وما صاحبها من شروح وتفسيرات في واد، والأفعال التي يمارسها البشر في حق بعضهم البعض في واد آخر!!

وكم تغنى قادة البلاد الغنية بما تعيشه بلادهم من حريات ومن رعاية لحقوق الإنسان! وكم كان حلمًا جميلًا لكل إنسان على ظهر هذا العالم وخاصة في بلاده النامية أو المتخلفة، أن يعيش في تلك البلاد التي هي رمز الثراء والحرية واحترام الحقوق! لكن كل ذلك انهار تحت وطأة عدم الاهتمام بمآسي الشعوب الفقيرة التي يفر منها الملايين بسبب الحروب والأعمال الإرهابية.

لقد انتُهكت كل حقوق الإنسان التي عبرت عنها تلك المواثيق الدولية المتعارف عليها. وشهد العالم على شاشات التلفاز أعمال القتل التي تحدث في ليبيا وسوريا والعراق واليمن؛ مما خلّف ملايين القتلى والجرحى والمشرَّدين من اللاجئين الذين يبحثون عن ملاذٍ آمنٍ.

إذن، ماذا تفعل الشعوب المنكوبة غير الصياح، واتهام العالم بالتقصير.

وماذا نملك نحن - أصحاب الرسالة والقلم - أكثر من أن نكشف

التناقض بين واقع الحال وما يتشدق به البعض من كلام معسول، بينما الناس تتجرع المُر، وتعاني الهوان والخراب والدمار.

لقد استقر في الضمير الإنساني منذ فجر الحضارات البشرية أن العدل أساس الملك، وأن تحقيق العدالة في أي مجتمعٍ إنما هو الأساس في كونه مجتمعًا إنسانيًا، يراعي فيه الجميع حقوقَ الجميع، ولا يعتدي فيه أحدٌ على أحدٍ[1]. ولقد راعت المجتمعات الإنسانية تحقيق العدالة بين أفرادها من خلال ما سنته من قوانين وتشريعات وضعية قامت على إدراك فطري للضرورة الاجتماعية القائمة على العدل بين الناس كأفراد وكجماعات.

وظل معنى العدالة يتعمق لدى هذه المجتمعات، ويتطور عبر الخطاب الشفهي والتطبيق العملي، إلى أن أصبح هو أساس الفكر السياسي الحديث.

ولكن هيهات أن تتحقق هذه العدالة طالما اختلت المعايير، وصار المسئول عن تطبيق مواد العدالة في القانون الدولي هو نفسه أول من يكسرها، وأول من يفسرها على هواه وحسب حاجاته ورغباته، وعلى حسب مصلحته ومصلحة حلفائه!

(١) حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظري والواقع العملي، د. مصطفي النشار، ٣٢.

لم يعد هناك مجالٌ لأن يلتفت من يملك القوة والثروة والسلطة لصرخات المظلومين والمقهورين في العالم المعاصر! إن صيحات المظلومين وآهاتهم وآلامهم وهمومهم لا تجد من يلتفت إليها.

إن نظرة واحدة لمنظر طفل عراقي أو سوري أو فلسطيني أو يمني يستغيث في الوقت الذي تصوَّب إليه رصاصة أو صاروخ تكفي لأن يستيقظ ضمير العالم[1].

إن قضية الهجرة غير الشرعية تدق ناقوس الخطر؛ وهذا كله بسبب أنانية الشمال، فلا يعقل من الناحية الإنسانية ولا من ناحية الرحمة أن تترك شعوب الجنوب ضحية للفقر والمرض والجهل والبطالة والضياع، ولو تخلى الشمال عن أنانيته وساعد بموضوعية وتجرد؛ لأمكن حلَّ مشاكل الشعوب الفقيرة، ولما رأينا الصور المأساوية لمن غرقوا في البحر الأبيض المتوسط.

لقد سمعنا عن الحادث المأساوي الذي حدث في عرض البحر المتوسط قُبالة السواحل الليبية، وانتشال البحرية الإيطالية لعدد من الجثث، وشاهدنا الصور المتكررة بشكل شبه يومي لغرق مراكب المهاجرين الذين يخاطرون بأرواحهم بقصد الوصول إلى الشاطئ الأوروبي من المتوسط.

(١) المرجع السابق، ٣٢ـ٣٤.

إن آلاف المهاجرين من البلاد المنكوبة إلى أوروبا ينتهي بهم المطاف إلى أن يموتوا في الصحراء القاحلة، أو يصبحوا ضحايا ورهائن في أيدي المهرِّبين، الذين يساومون أسرهم في مقابل إطلاق سراحهم، أو يسقطوا في شباك الجماعات الإرهابية الناشطة في تجنيد الشباب، أو يغرقوا في البحر.

إن التذرع بالجوانب الأمنية وإغلاق الحدود في وجه المهاجرين الفارين من الحروب والإرهاب ـ أمر لا يقبله أحد وهو أمر يرفضه الضمير الإنساني.

إن تحقيق السلام يحتاج إلى معالجة واقعية وعملية لمشاكل الشعوب الفقيرة.

كيف يتحقق السلام في ظل المجازر البشرية التي تتعرض لها مجتمعات العالم الثالث وشعوب جنوب المتوسط؟!

من الممكن أن تتكلم عن موت الأطفال، ولكن ماذا تقول أيها الإنسان عن صورة الطفل السوري الذي ألقته أمواج البحر على الشواطئ التركية؟! إنها مأساتنا التي نعيشها! كم يموت الناس جوعًا وحرقًا وغرَقًا والعالم يتفرج!





النظرة الإسلامية للعلاقات الإنسانية

يعيشُ العالمُ حالةً من الرعب والفزع والترقب نتيجة ما يحدث من إرهابٍ، وترويعٍ للآمنين، واستهدافٍ للأبرياء، من خلال عمليات التفجير والتدمير التي تحدث هنا وهناك، مما جعل كثيرًا من المناطق في القارات مسرحًا للعمليات التي تنفذها الجماعات الإرهابية التي أصبحت تمارس أعمالها الإجرامية باسم الدين، وتحاول عبثًا أن تستشهد ببعض النصوص الشرعية زورًا وبهتانًا لإضفاء الشرعية على تلك الجرائم، ولتضليل الشباب وخداعهم واستقطابهم بشكل أو بآخر عبر مواقع التواصل الاجتماعي بدعوى إقامة الدولة الإسلامية، أو استعادة نظام الخلافة أو غير ذلك من التُرهات والأباطيل، الأمر الذي جعل الإنسان يعيش حالة من الحيرة والدهشة ويتساءل عن حقيقة الإسلام في مواجهة الإرهاب والأعمال الوحشية التي تتم الآن وتهدد الأمن والسلم العالمي.

وفي الحقيقة نحن بحاجة إلى بيان الرؤية الإسلامية للعلاقات الإنسانية لقد دعا الإسلام إلى أخوةٍ عالمية بين الناس جميعا تقوم على أساس من التعارف والتآلف والتواصل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣].

ودعا إلى العلاقات العامة على أسس من الحب والبر والعدل: قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة : ٨].

وقد نشر الإسلام السلام العالمي؛ ليكون دُعامة في العلاقات الدولية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة : ٢٠٨].

وعُنى الإسلام بكرامة الفرد؛ لأنه لبنة في البناء الإنساني؛ وذلك ليكون عضوا مؤسسًا في العلاقات العامة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠].

إن تكريم الإنسان في الإسلام لا يعتمد على دينه أو مذهبه أو فكره أو قوميته بل يعتمد على إنسانية الإنسان في مواجهة كافة المعايير التي يُعوِّل عليها الناس في نظرتهم للأفراد.

ولذا فإن الإسلام يهدف إلى إيجاد أمة إسلامية تفهم دورها وتضطلع بمسؤولياتها؛ لتؤدي مهمة إنسانية من أجل السلام العالمي، وتدعم بناء العلاقات العالمية السوية، وتعمل على صيانتها ضد عواصف الشر، وملاحم الفتن.

إن في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧] معنًى إنسانيًا وافيًا، لا يدع مجالًا لذّرة من الريب، في أن الإسلام إنما جاء ليمنح البشرية: الأخوة والحب والسلام[(١)].

الإسلام ينظم العلاقات الإنسانية:

لقد عبرت آيات كثيرة في القرآن عن الناس بأنهم أمة واحدة، وإنهم يبتدئون في الوجود من أصل واحد، وينتهون إلى نهاية واحدة، وهى : لقاء الله الذى خلقهم، وإن اختلف الجزاء خيرًا أو شرًا فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء : ١].

وإن النبي ﷺ صرّح بهذه الوحدة فقال ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[(٢)].

لقد بين الإسلام أن الناس جميعًا مع هذه النسبة الواحدة لآدم، قد اختلفوا في اللون واللسان، وتباينوا قبائل وشعوبًا وأجناسًا، وكل ذلك من آيات الله ودلائل قدرته في الكون، فاختلاف الأماكن يُوجدُ اختلافًا في الألوان والألسنة؛ ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين اختلاف الألوان والألسنة، وخلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ

(١) نظرات في الإسلام، محمد عبد الله دراز، ١٠٤، ١٠٥.
(٢) مسند أحمد (٥/ ٤١١).



ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[الروم : ٢٢].

وليس ذلك الاختلاف معارضًا لأصل الوحدة، ولا يصح أن يكون سببًا للنزاع، بل يجب أن يكون سببًا للتعارف والتوادّ.

لقد جاء الإسلام؛ لينظم قواعد العلاقات الإنسانية على المساواة والتعاون الإنساني والكرامة والتسامح والحرية، حيث احترمت النظم الإسلامية في العلاقات الإنسانية حرية العقيدة احترامًا كاملًا، فنفى القرآن الكريم أن يكون الإكراه طريقًا لاعتناق دين، ومنع المؤمنين أن يُكرهوا أحدًا على الدين فقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾[البقرة :٢٥٦]

وخوطب النبي ﷺ مُطَالَبًا بمنع الإكراه في الدين فقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٩٩].

لقد ضمن الإسلام الحريات الإنسانية كلها، فضمن حرية الإقامة، وحرية القول، وحرية الرأي، وحرية العمل، كما ضمن حرية تقرير المصير[(١)].

(١) العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ/ محمد أبو زهرة، ٩، ١٥.

ترسيخ السلام:

كما أن السلم هو العلاقة الأصلية بين الناس في الإسلام؛ لتهيئة التعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة.

لقد عمل الإسلام على ترسيخ السلام حتى إنّه لم يجعل المخالفة في الدين سببًا من أسباب العدوان والبغي، ونرى ذلك جليا في قوله تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنه:٨].

ونراه في المبدأ العام الذى جعله أساسًا لمعاملة أهل الكتاب الذين لا يؤمنون برسالة محمد، ذلكم المبدأ المعروف وهو: تركهم وما يدينون، والتحذير من التعرض لهم في شعائرهم وأموالهم، والتسوية بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات العامة، وسمت الشريعة الإسلامية في كل ذلك حتى أوجبت على المسلمين إعانة المنكوبين منهم، وأباحت الاختلاط بهم، والتعاون معهم ومصاهرتهم[(١)].

إن العلاقة بين المسلمين وغيرهم في أصلها علاقة مسالمة ورحمة، وهذا ما أكده النبي ﷺ في علاقته بأهل مكة وغيرهم من الناس، فبعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة لم يبدأ أهلها ولا

(١) من توجيهات الإسلام، الشيخ/ محمود شلتوت، ٧٦.

جيرانها بقتال، وإنما حرص على حسن الجوار، وبادر إلى معاهدتهم على عدم اعتداء البعض على البعض فقد جاء في وثيقة المدينة: «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم..».

لقد حوَّل الإسلام القبائل إلى لَبِنَاتٍ في بناء «الأمة» الجديدة، وجعل أبناء الشرائع الدينية المتعددة لَبِنَاتٍ أصلية في هذه الأمة الواحدة.

وفي أول احتكاك بين المجتمع الإسلامي وبين النصارى ـ نصارى نجران ـ كتب لهم رسول الله عهدًا وتعاقدًا دستوريًا قنَّن فيه هذه التعددية الدينية في رعية الدولة وكامل المساواة والإنصاف في حقوق المواطنة وواجباتها، وجاء في هذا العهد: ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها ـ جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقفَ من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته .. وإذا كانت الدهشة تتملك قلوب أهل هذا العصر وعقولهم من هذا السخاء في المساواة والعدل والإنصاف الذى أعطاه الإسلام «للآخر الديني» قبل أربعة عشر قرنًا، فإن هذه الدهشة ـ دهشة الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ـ ستزداد

وتتعاظم عندما يعلمون وتعلم الدنيا أن الإسلام لم يطلب من هذا الآخر، مقابل كل هذا السخاء في الحقوق سوى «واجب واحد» وهو أن يكون هذا «الآخر» لبنة في جدار الأمن الوطني، وأن يكون ولاؤه للوطن كاملًا، وانتماؤه خالصًا للأمة التي هو جزء أصيل فيها، ولم يقف الإسلام بهذا الأفق غير المسبوق في السماحة والتسامح عند «الآخر» المتدين بديانات سماوية فقط - أهل الكتاب من اليهود والنصارى - وإنما امتد به؛ ليشمل المتدينين بالديانات الوضعية، فتركهم، هم أيضًا، وما يدينون، وعاملهم معاملة أهل الكتاب، فعندما فتح المسلمون فارس - وأهلها مجوس يعبدون النار ويقولون بإلهين، أحدهما: للخير والنور، والثاني: للشر والظلمة.

استشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ صحابة النبي ﷺ وقال كيف أصنع بالمجوس؟

فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: «سُنُّوا بهم سُنة أهل الكتاب..»[1].

فعوملت الديانات الوضعية معاملة ديانة أهل الكتاب..

وكما جعل الإسلام هذا، «الآخر الديني» جزءًا أصيلًا من الأمة الواحدة والرعية الواحدة في المجتمع الإسلامي فتح الباب أمام هذا

---

(١) موطأ مالك.



«الآخر» باب الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وذلك بعد أن استوعب الإسلام كل المواريث الحضارية السابقة التي قهرها الغزاة -الإغريق والرومان- فأحياها الإسلام، وترجم المسلمون علومها وفنونها، فدخلت تلك المواريث في النسيج الجديد للحضارة الإسلامية الجديدة[1].

كيف انتشرت الحضارة الإسلامية:

إن التزاوج الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى شاهد على سعة أفق وعمق فهم المسلمين للإسلام، مما جعلهم ينفتحون انفتاحًا واعيًا ومستوعبًا للمورثات الحضارية السابقة فكان ذلك أمارة على العالمية والشمولية الإسلامية.

إن الحضارة إنما تعبر عن روح الأمة التي تبدعها، أو روح الشعوب التي تنشئها، فهي تعكس القيم والمبادئ والمعتقدات التي تنبثق عنها، فلا تنشأ الحضارة من فراغ. ومنطلقات الحضارة الإسلامية: الشعور بالأخوة الإنسانية تلك التي دفعت المسلمين إلى التعاون مع غيرهم من أصحاب الديانات والعقائد، والانفتاح على ثقافاتهم وحضاراتهم، والنهل من علومهم، دون الشعور بالاستعلاء أو الانزواء، وحرية البحث العلمي في جميع مجالات المعرفة إعمالًا

(١) حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان، د/ محمد عمارة، ٢٠-٣٤

للتوجيهات الشرعية في القراءة والمعرفة وتوظيف المناهج العلمية في المجالات المعرفية المختلفة.

ولذا جاءت الحضارة الإسلامية نتاج عملية تفاعلية بين إبداع المسلمين، وإبداع غيرهم من أصحاب الديانات والعقائد المختلفة[1].

يقول بريفوت **BRIFFAULT** في كتابه(تكوين الإنسانية) **MAKING FOR HUMANTTY** إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس ما قدموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة فحسب بل يدين العلم للثقافة العربية (وللحضارة الإسلامية) بأكثر من هذا:

إنه يدين لها بوجوده ، وقد كان العالم – كما رأينا ـ عالم ما قبل العلم، علم النجوم ورياضيات اليونان كانت فيه هذه العلوم عناصر أجنبية لم تجد لها مكانًا ملائمًا في الثقافة اليونانية فقد أبدع اليونان المذاهب، وعمّموا الأحكام، ولكن طرق البحث وجمع المعرفة الوضعية وتركيزها، ومناهج العلم الدقيقة، والملاحظة المفصلة العميقة، والبحث التجريبي كانت كلها غريبة عن المزاج اليوناني.

إنَ ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا كنتيجة لروح جديدة في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء، طريق التجربة والملاحظة والقياس ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان، وهذه الروح وتلك

(١) أفكار للحوار، د/ عبد العزيز التويجري، ٤٦، ٤٧.

المناهج أدخلها العرب (الذين هم بُناة الحضارة الإسلامية) إلى العالم الأوروبي[1].

لقد انتشرت الحضارة الإسلامية بمنطق العلم وقوة ودقة الملاحظة وجودة الاستنباط وروح التسامح والتفاعل الإيجابي والفهم الواعي لتعاليم هذا الدين.



(١) انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، د/ علي سامي النشار، ٢٧٧.

مسؤولية الإنسان في الحياة

ناط الإسلام بكل فرد من أفراده مسؤولية وتبعة نحو نفسه وأهله وأمته، وعلى قدر منزلة الشخص وما وُكل إليه من مهام تكون مسؤوليته، وإن فقه المسؤولية ينبع من كون الإنسان صاحب رسالة في هذه الحياة، ولذا فهو مسئول عن جميع أقواله وأعماله قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[الصافات:٢٤]، فكل إنسان مسئول عن أعماله أمام الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الحجر: ٩٢ – ٩٣].

وبيّن رسول الله ﷺ تنوع وشمول المسؤولية في المجتمع وعدم اقتصارها على شخص دون آخر، أو جهة دون أخرى؛ لأن هذا الأمر مشترك بين الناس ففي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده، وهي مسئوله عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته»[1].

(١) البخاري : رقم الحديث (٧١٣٨).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: قال الطيبي: في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوبًا لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه ... «وقال: دخل في هذا العموم: المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد، فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات، ويجتنب المنهيات فعلًا ونطقًا واعتقادًا، فجوارحه وقواه وحواسه رعيته...»[1] ويُفهم من هذا الحديث أن المسلم مسئول مسؤولية عينية عن مصلحة المسلمين في دوائر قد تتسع وقد تضيق بحسب الموقع الذي يكون فيه.

إن استشعار المسؤولية مأمور به في الإسلام؛ ليعمل الإنسان قدر طاقته، للنهوض بتبعات ما أُلقى على عاتقه، ويحذر التهرب من مسؤولياته، ليُلقى باللائمة والتبعة على غيره، إن القيام بالواجبات والمهام مسئولية مشتركة، كل امرئ بحسبه، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بتخصصه، وذاك بماله أو وجاهته ودائرة كل راع تختلف في السعة والضيق، حسب وضع الراعي ومكانه الذي يتبوأه.

والرعاية التي يفرضها الإسلام على الراعي في دائرة الأسرة ليست رعاية الإنفاق وتدبير الأمر فقط عمن يرعاهم الراعي في أسرته، بل مع ذلك رعاية التوجيه لهؤلاء، والملاحظة الدقيقة المستمرة لسلوكهم..

(١) فتح الباري، ١٣/ ١٢١



والإسلام إذ يوصى بقيام كل راع بأمر رعيته، وبالتعاون في هذه الرعاية، يقر أيضًا المسؤولية الشخصية والفردية على كل راع؛ ليؤكد أمر القيام بهذه الرعاية وبالتعاون فيها وهذه المسؤولية الشخصية تعطينا: أن الإسلام يطلب من المؤمنين به أن يكون كل واحد منهم بَناء في أمر نفسه، وفى أمر أسرته، وفى أمر مجتمعه[1].

واقع الأمة وغياب المسؤولية:

تحولت الأمة إلى طوائف ومجموعات تتمرس خلف أفكارٍ وآراءَ تنم ـ أحيانًا ـ عن عصبيةٍ وتشددٍ لدى بعض الفئات التي تكتفي بقراءة ذاتها بمنأى عن عالمها، مع التعصب لرؤيتها ونظرتها واعتبار تدينها دينا مقدسًا، لا يمكن إعادة النظر فيه، وقد حذر القرآن الكريم من مَغَبّةِ الوقوع في هذا المستنقع قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢] إن آيات القرآن صريحة في بيان دور الإنسان وإعطائه الحرية، ورتبت على هذا الحرية مسؤولية الثواب والعقاب، فلا مسؤولية بلا حرية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[الرعد:١١].

(١) الإسلام في حياة المسلم – محمد البهيّ، ٢٨٨.

إن الله تعالى ربط تغيير الحال بإرادة الإنسان ونشاطه؛ ولذا فإن أية محاولة للتغيير في واقع الأمة، لابد وأن تبدأ بالإنسان وتركز على بنائه الفكري؛ لأننا بحاجة إلى الاهتمام بعقل الإنسان وفكره فهو المفتاح الحقيقي لأي تقدم، وهذا ما جعل مالك بن نبي يقول: إن الحضارة لا تنبعث كما هو ملاحظ تاريخيًا إلا بالعقيدة الدينية ـ هدايات وبلاغات الوحي ـ فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم، إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعةً ومنهاجًا، وهي ـ على الأقل ـ تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي، بالمعنى العام، فكأنما قُدِرّ للإنسان ألا تُشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره، إلى ما وراء حياته الأرضية، أو بعيدًا عن حقبته، إذ حينما يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تشكل له مركز الرؤية، تتفاعل معها عبقريته»[(١)].

إن الإسلام جعل مسؤولية التغيير الاجتماعي تضامنية، وفرضًا من فروض الكفاية، وجعل مسؤولية السقوط جماعية أيضًا، وشرع مسؤولية الحراسة والرقابة العامة للمجتمع قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي

لقد كانت خطوة الإسلام الأولى، هي تغيير ما بالأنفس، وممارسة التحويل الثقافي[1].

«إن أسباب ارتقاء المسلمين في الماضي كانت عائدة في مجملها إلى الديانة الإسلامية التي تحولت قبائل العرب بهدايتها من الفُرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة... وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحًا جديدة، صيَرتهم إلى ما صاروا إليه من عزة ومنعة....

فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي، يجب علينا أن نبحث عنه وننشده.... أهو باق ؟؟

أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم، ولم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنم به، دون العمل بأوامره ونواهيه إلى غير ذلك .

لقد فقد المسلمون السبب الذي ساد به سلفهم، إن السبب الذي به استقام هذا الأمر، قد أصبح مفقودا بلا نزاع، وإن كان بقى منه شيء كباقي الوشم في ظاهر اليد.

فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل،

(١) رؤية في منهجية التغيير – عمر عبيد ٢٨-٣٠.

لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين؟ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

ولو كان الله قد قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]

بمعنى أن ينصرهم بدون أدنى مزيّة فيهم سوى أنهم يعلنون كونهم مؤمنين، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر.

لكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا، فالله غير مخلف وعده، والقرآن لم يتغير، ولكن المسلمين هم الذين تغيروا[١]، والله تعالى أنذر بهذا فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد:١١]

إن الأمة الإسلامية اليوم تعيش مرحلة (القصعة) التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت»[٢].

(١) لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم – الأمير شكيب أرسلان، ٤١-٤٢.
(٢) رواه أبي داود في سننه ٤/ ١١١.

فمؤشرات الوهن الحضاري ومسبباته، كما أشار إليها الحديث: حب الدنيا والإفراط الضخم في الاستهلاك، والتزاحم على المطالبة بالحقوق، والهروب من القيام بالواجبات، وعدم الشعور بالمسؤولية الخاصة والعامة، وكراهية الموت، والرغبة في الإخلاد في الحياة.

ولن يتحقق أي نهوض أو بناء، إلا بتصويب تلك المعادلة؛ وذلك إنما يكون بإعادة بناء الشخصية المسلمة اليوم، وصنع الإنسان المنتج والتركيز على إنسان الواجبات، لا إنسان الحقوق، فالأمة تحتاج إلى من يعطى ويتفانى في العطاء.

لقد أدى ضعف الشعور بالمسؤولية إلى حالة من الاضطراب في الموازين والخلط في الأوراق فمن أبجديات المنطق الأولى: أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأن من أبرز سمات العصر الذي نعيشه تقسيم العمل والتخصص، بل التخصص الدقيق في فروع المعرفة الواحدة، أما واقع المسلمين، فلا يزال الرجل الملحمة الذي يدعى أنه يفهم بكل شيء هو الشخص المميز، فهناك من المشتغلين بالعلوم التجريبية من يقتحمون ساحة التخصص الشرعي الدقيق التي لا يبلغها إلا من أفنى عمره في بحثها، وعلى الجانب الآخر نرى بعض المشتغلين بالأمور الشرعية يُصرون على اقتحام ساحات العلوم التجريبية الدقيقة.

إننا نرى فئة ممن اختاروا طريق العلوم التجريبية من المتدينين يشعرون بعقدة الذنب الداخلي بسبب اختيارهم، لتوهُم أن هذا التخصص، لا يقع في دائرة العبادة، لذلك نجد مجموعة منهم تتحول من ممارسة التخصص العلمي سواء كان في الطب أو الهندسة أو غير ذلك للعمل في مجال الدعوة إلى الله، وكأن الكسب العلمي الذي يؤدى إلى تمكين الأمة ليس من الدعوة إلى الله !!!

والأغرب من ذلك أن يعتقد البعض بأن الله جعل الكفار ـ على حدّ زعم من يقول ـ في خدمتنا فهم يتولون الصناعة لاستهلاكنا، أما نحن فنتفرغ للعلوم الشرعية، وكأن معرفة الحرفة والصنعة والإنتاج ليس من العلوم الإسلامية والتكاليف الشرعية !! وما من الأنبياء نبي إلا كانت له حرفة، وهُمْ في موقع الأسوة والقدوة. وكيف يقرأ هؤلاء قوله تعالى في بيان نعمه على سيدنا داود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[سبأ:١٠]، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾[سبأ:١١]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[الأنبياء:٨٠].

وكيف يقرأون قصة ذي القرنين في القرآن الذي مكَن الله له في الأرض بإتّباعِه للأسباب ..(١).

إن القرآن الكريم عمل على صياغة الفكر الإسلامي، صياغة واقعية

(١) تأملات في الواقع الإسلامي- عمر عبيد ٣٤ -٤٢.

جعلت له منهجية عملية متميزة في تاريخ الفكر الإنساني، حيث وجّه العقل في سبيل إدراك حقيقة الغيب وسنن الكون إلى مظاهر الطبيعة المادية، وواقع النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[فصلت:٥٣].

لقد استشعر المسلمون المسؤولية، فنشأت لديهم خاصية في الفكر جعلت الواقع الكوني والإنساني منطلقهم لكل معرفة، وبرعوا في العلوم الطبيعية، وتميزوا في المجالات الشرعية، وكانت هذه الواقعية أساسًا للمنهج التجريبي الحديث الذي قامت عليه الحضارة الغربية حينما نقله روجر بيكون **(ROGERBACON)** عن التجريبيين الإسلاميين[١].

إن وعى المسلمين وإدراكهم لدورهم الإنساني والحضاري جعلهم على درجة عالية ودقيقة من الفهم والاستيعاب، فتكونت لديهم صفة المقارنة والنقد، واستطاعوا أن يستوعبوا علوم الأوائل، وأن يخضعوها للبحث والتمحيص والمقابلة مع التعاليم الإسلامية دون أحكام مسبقة أو استعلاء، أو تعصب، فكانت لهم رؤى نقدية ثاقبة وقد ظهر ذلك واضحًا فيما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في: مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة.

---

(١) تجديد الفكر الديني في الإسلام – محمد إقبال، ١٤٨.

ولكن عند ضعف الوعي، وضعف الشعور بالمسؤولية يضيق الأفق ولا تتسع العقول للآراء المخالفة في العقيدة أو المذهب أو الفكر، ويحدث الرفض للآخر.

يقول الشيخ محمد الغزالي: لقيت متعصبين كثيرين، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية فوجدت آفتين تفتكان بهم: الأولى: العجز العلمي، أو قلة المعرفة، هؤلاء يحفظون نصًا وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا ويجهلون أخري، وهم يحسبون ما أدركوه الدين كله.

والآفة الثانية في التعصب المذهبي: سوء النية، ووجود أمراض نفسيةٍ دفينة وراء السلوك الإنساني المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء أو رذائل القسوة والتسلط.

أرأيت إلى الشخص الذي قال لرسول الله ﷺ: اعدل، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله! إنه ـ والله ـ ما يغار على عدالة، ولا يأبى على جور، إنه طالب ظهور عن طريق الغيرة على القيم، يُريد أن يقال عنه: لفت معلم الإنسانية إلى ما فاته وأدرك ما لم يدركه، وهو صاحب الرسالة العظمى.

إنه هو وأمثاله كما قال رب العالمين: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا

كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦]

ولقد تألم رسول الله ﷺ لهذا الكلام، وقال لصاحبه: ويحك!! من يعدل، إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل.

والواقع أن بين المتعصبين لبعض الآراء والمذاهب ناسًا حظهم من الإيمان بالغ التفاهة ..؛ ولذا اجتمعت الآفتان معًا على افتراس الأمة الإسلامية المغلوبة(١).

«إن القرآن الكريم عمل على قدح زناد الفكر البشري بنقاشه ثوابت الجاهلية وهكذا في كل القضايا الاعتقادية والخلقية والاقتصادية، مما أوجد مفاهيم وحقائق وأحاسيس لها أدب يعبر عن وحيها»(٢).

ولكن عندما غُيّب وعي الإنسان وضَعُفَ شعوره بالمسؤولية نحو نفسه وأسرته ووطنه ودينه ـ بسبب التعصب والغلو والتشدد ـ انتشر التكفير والتفجير وأصبح القتل يمارس باسم الإسلام، واستغلت النصوص الشرعية لاستحلال إزهاق الأرواح والأموال والأعراض مما أدى إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين .

(١) دستور الوحدة الثقافية – ٩٥ -٩٦.

(٢) الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى ـ د. عبد المتعال الجبري ـ ١٤١-١٤٢.

الإسلام وتمكين الشباب

الشباب هو حاضر ومستقبل المجتمعات والدول والأمم، لذا عُنى المربّون والمختصون بإعدادهم وتدريبهم، وقد قام هذا الدين على أكتاف وعقول الشباب، وحسبنا في ذلك أن نعلم أن بعثة النبي ﷺ كانت في الأربعين من عمره، وأن رسول ﷺ كان أكبر أصحابه رضي الله عنهم في مكة، عدا عبيدة بن الحارث رضي الله عنه، وكان أبو بكر رضي الله عنه عند دخوله في الإسلام في الثمانية والثلاثين، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السابعة والثلاثين حين دخل في الإسلام، وذلك في السنة السادسة من البعثة، ومن العشرة المبشرين بالجنة خمسة كانوا ما بين العاشرة والعشرين من العمر[1].

وممن تحمل عبء نشر الإسلام والتأسيس للمجتمع الإسلامي بالمدينة أسعد بن زرارة رضي الله عنه الذي توفي في التاسعة والعشرين من عمره، وكان عُمر سعد بن معاذ رضي الله عنه ومصعب بن عمير رضي الله عنه في الثلاثين، وقد أسهما في إعداد المجتمع الإسلامي في المدينة، وكان الشباب الشريحة الأكبر في بيعة العقبة الكبرى.

إن هذا الشباب الذي حمل على عاتقه نشر الإسلام والدفاع عن

(١) عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، وسعد ابن أبي وقّاص رضي الله عنهم أجمعين.

مبادئه يعد قدوة للشباب المسلم اليوم، لقد كان معظم هؤلاء الشباب بين العشرين والثلاثين من أعمارهم، واستطاع الإسلام أن يستخرج مكنون الطاقة والقدرات من داخلهم ويوظفها التوظيف المناسب ويفتح المجال لتكافؤ الفرص وضرب رسول الله ﷺ لنا أروع الأمثلة في توزيع المهام وإشعار كل منهم بمسؤولياته حيث احترم قدراتهم وعطاءاتهم وشجعهم وحثهم على بذل المزيد، ولم يتعرض لهم بنقد يؤدى إلى إحباطهم، أو التقليل من شأنهم أو غير ذلك مما يورث التراجع وعدم الإقدام بل احترم مهاراتهم وقد تبدى ذلك في قوله ﷺ: «.... وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بن كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ»[1].

لقد تميز الصحابة رضي الله عنهم بالمنهجية العلمية التي اكتسبوها من القرآن والسنة، فعلى سبيل المثال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يقول الأستاذ/ عباس العقاد عنه: «كانت له فطنة الرجل العليم بنقائض الأخلاق، وخبايا النفوس، وكفى من كلماته الدالة عليه أن نذكر أنه كان يحب أن يعرف الشر، كما يعرف الخير، لأن الذي لا يعرف الشر أحرى أن يقع منه».

(١) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠ عن أنس بن مالك .

وأنه هو القائل: «احترسوا من الناس بسوء الظن» وهو القائل مع ذاك: «أظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر..

بل لو كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محدود التفكير، ينظر إلى الأمور من جانب واحد، لما كثرت مشاورته للكبار والصغار، والرجال والنساء، مشاورة من يعلم أن جوانب الأمور تتعدد.

وقد عَاشَرَهُ أناس من الدُهاة فخبروه ووصفوه، إنما كان عمر كما وصف نفسه: «ليس بالخِبِّ ولكن الخِبَّ لا يخدعه»(١).

مما يبرز أهمية وعي الشباب في مواجهة حملات التضليل والاستقطاب واستغلال حماسهم لصالح قوى الشر؛ ولذا حرص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الاهتمام بشريحة الشباب ومناقشتهم وإعطائهم الفرصة للتعبير عن قدراتهم وإمكاناتهم مثلما حدث مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

(١) عبقرية عمر ـ عباس محمود العقاد ٤٩ – ٥٠.

فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟

فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ».

قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، «وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِك».

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فَقَالَ عُمَرُ «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»[(١)].

يقول الأستاذ العقاد عن خصائص طبيعة الجندي ومظهرها في عمر رضي الله عنه: «فأهم الخصائص التي تتجمع لطبيعة الجندي في صفتها المثلى: الشجاعة، والحزم، والصراحة، والخشونة، والغيرة على الشرف، والنجدة والنخوة، والنظام، والطاعة، وتقدير الواجب، والإيمان بالحق، وحب الانجاز في حدود التبعات أو المسؤوليات ..» كل هذه الخصائص تحلى بها عمر رضي الله عنه: فهو الشجاع الحازم الصريح الذي يستشعر المسؤولية في كل عمل يقوم به.

وإذا ارتقينا من هذا إلى النظام الأشمل والتقسيم الأعم الأكمل، فهناك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي دوّن الدواوين، وأحصى كل نفس في الدولة الإسلامية، كأدق إحصاء، فكل له رتبته من السبق والتقديم،

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٧٩.

على حسب المراتب التي يمتاز بها الجنود فالحاضرون في وقعة بدر، هم المقدمون بين المجاهدين، والحاضرون في الحديبية يأتون بعدهم، والذي اشتركوا في حرب الرِدّة يأتون بعد هؤلاء وهؤلاء.

إن أصحاب رسول الله ﷺ، حازوا من المواهب والقدرات ما جعلهم نماذجَ يُحتذي بها.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[(١)].

إنهم الجيل الذي استدعى الوحي بحركته، وتحقق لهم الانفعال به، والتحرك وفق مقاصده، إنهم الصفوة التي تُمثل أجنة الدعوة الأولى، وشبابها، ورجالها.

إنَّ هذا الجيل يبقى هو القاعدة الصلبة للبناء المأمول، والمُرتكز الحضاري للانطلاق الصحيح ، والدليل العملي لتحويل القيم إلى سلوك وواقع، خاصةً في هذه المرحلة الحرجة من حياة الأمة التي تجتاحنا فيها ثقافات السموم ومحاولات اقتلاعنا من جذورنا،

(١) جامع بيان العلم وفضله – ابن عبد البر.

وتوهين قيمنا، والتشكيك بثوابتنا، والنيل من تاريخنا ، وتجريح حِقبة الخيرية في مسيرتنا .

في هذا الوقت تشتد حاجتنا إلى تذكير الشباب بأهمية تجديد العزيمة وإبراز نماذج القدوة والعطاء الكبير لهذا الجيل الذي رباه النبي ﷺ وحمَّله المسؤولية .

في هذه الظروف الحرجة يشتد اشتياقنا إلى إتباع أبى بكر رضي الله عنه وإلى اجتهاد عمر رضي الله عنه وإلى إيمان وحياء عثمان رضي الله عنه، وإلى حكمة عليّ رضي الله عنه، وإلى فقه ابن عباس رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه. وإلى زهد أبى زر رضي الله عنه، وإلى ثبات عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وإلى حِنكة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ومشورة أم سلمة رضي الله عنها .

في هذه الأيام تشتد الحاجة إلى استعادة الثقة في الشباب وتحميلهم المسؤولية والاهتمام بتنمية قدراتهم وصقل مهاراتهم للتخلص من الآثار السلبية للإهمال والتهميش.

فعمرو بن العاص ـ رضوان الله عليه ـ أحد قادة الفتح العظماء، وسفراء النبوة الأمناء وحسبنا في ذلك شهادة النبي ﷺ له بقوله: «أسلم الناس وآمن: عمرو بن العاص»[1] .

(١) المسند ٤/ ١٥٥ رقم الحديث (١٧٣٨١).

إنَّ جيل الصحابة رضي الله عنهم هم الذين أظهروا الإسلام، وامتدوا به في الاتجاه الإنساني والعالمي وتجاوزوا في إظهاره الجغرافيا والتاريخ والجنس واللون، والأرض، واللغة، والمناخ، والبيئة.

لقد كانوا نماذج عالمية إنسانية ، امتدوا بالإسلام في كل الاتجاهات، وعلى مختلف الأصعدة فاستوعبوا كل الثقافات والحضارات ، والأديان، واستطاعوا الإنتاج والبناء الإسلامي في كل المواقع، مما يؤكد عالمية الإسلام، وإنسانيته.

حتى إن الحضارة الإسلامية في مصبّها الأخير، كانت مشتركًا إنسانيًا متشابكًا، يصعب معرفة ألوانها، أو عناصرها، أو أجناسها.

هي إسلامية القيم والمنطلقات، عالمية العطاء البشرى.

بينما ترى الحضارات التي ظهرت على مسرح التاريخ البشرى، سواء السائد منها والبائد كانت حضارات خاصة بقومٍ أو جنس، أو جغرافيا، ولم ترتق إلى مستوى المشترك الإنساني فهي إما: حضارةٌ يونانية، أو رومانية، أو فرعونية، أو فينيقية، أو فارسية، أو أوروبية.

على عكس الحضارة الإسلامية التي هي في مبادئها وممارساتها، حضارة إنسانية، تحقق فيها ولها المشترك العالمي.

إن جيل الصحابة، ليس خاصًا بأمة، أو جنس بشرى، إنهم نماذج

عالمية الأداء، إنسانية العطاء بما تحمل من القيم الإسلامية العالمية الإنسانية مثل قيمة: الرحمة والمحبة والتعاون والتعارف واحترام إنسانية الإنسان...

إلاَّ أن جيل الصحابة لم يأخذ البعد المطلوب في ثقافة المسلمين وتربيتهم وذلك على مستوى مناهج التعليم والإعلام والثقافة والتربية؛ لتحقيق التأسي المطلوب.

وإنما اتجهت الخطب والمواعظ والكتابات والدروس والوعظ والإرشاد إلى الفخر بهذا الدين، دون القدرة على استنباط الأسس والقواعد والمناهج[1] وكيفيات بنائها في الشباب المسلم الذي أصبح نهبًا للغزو الثقافي والتضليل المعرفي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وما تمارسه جماعات التكفير والتفجير من المحاولات المستمرة في استقطاب وتجنيد الشباب المسلم واستغلال ظروفه النفسية والعاطفية، وتسهيل عملية الهجرة والوصول إلى مناطق الصراع في البلاد العربية، حيث يتم توظيف أوعية المعلومات في بث التفسيرات الخاطئة والمضللة للنصوص الشرعية والترويج للمفاهيم الخاطئة التي ـ تساعد تلك الجماعات على تحقيق الأجندات السياسية للقوى الدولية المتآمرة ـ مثل: التكفير والجهاد، والخلافة، والدولة الإسلامية،

(١) عمرو بن العاص النموذج للتأسي ـ عمر عبيد، ٥٧-٦٥.

ودار الإسلام ودار الحرب وغير ذلك، حيث افتقدت البوصلة التي تحدد الاتجاه، مما يستوجب بيان الحقائق وتقديمها للشباب من خلال الصور الإنسانية التي أسهم جيل الصحابة في رسمها وبيانها عبر الجهود العملية والإنسانية.

احترام الرسول ﷺ للشباب:

إن هذا الدين قام على قدرات وطاقات الشباب الذين كانوا محور اهتمام النبي ﷺ وأصحابه، ومن أبرز الأدلة على ذلك حب النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه، فقد أحبه النبي ﷺ وأوصى أصحابه به فقال: «إني لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرًا»[1].

وكان على حداثة سنه مهيبًا مسموع الكلمة، يجتمع مع كبار الصحابة، كما كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والذي كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم وفاة النبي ﷺ، ذا منزلة عالية بين شيوخ الصحابة الكرام، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع أجلة الصحابة.

ويقول عنه: ابن عباس رضي الله عنهما فتى الكهول، له لسان قؤول وقلب عقول[2].

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ٢/ ٣٩٤، الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٤/ ٦٧.
(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ٣/ ٩٣٥.

وكان عمر رضي الله عنه نفسه يجل أسامة رضي الله عنه، فقد فضله في العطاء على ابنه عبد الله رضي الله عنه؛ لأن أباه زيدًا كان أحب إلى رسول الله من عمر نفسه.

قال عبد الله بن دينار: كان عمر بن الخطاب إذا رأى أسامة بن زيد، قال: السلام عليك أيها الأمير فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، تقول لي هذا؟ قال: فكان يقول له: لا أزال أدعوك ما عشت أيها الأمير، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير»[١].

ولقد أثبت أسامه رضي الله عنه[٢] في قيادة جيشه إلى الشام أنه ذو جلد على تحمل المشاق، وذو شجاعة فائقة وعقيدة راسخة، وعقلية راجحة متبصرة بالأحداث والنتائج، مما أكسبه سمعة عالية وصيتًا وشهرة كبيرة بين الصحابة، فقدروه، وأحبوه، ولمسوا بأنفسهم مدى إصابة الحق في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم له للإمارة.

إن هذه الثقافة الرائعة التي رسخها النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه للعمل على احترام الشباب وقدراتهم ومواهبهم كانت السر في نبوغ الكثير والكثير من الشباب ممن أثروا الفكر الإسلامي وتركوا تراثًا علميًا عظيمًا، فعلى سبيل المثال: الإمام الليث بن سعد الذي بدأت نجابته في سن مبكر، بل كان إمامًا يفتى وهو في بواكير شبابه.

---

(١) رواه أبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي في السنن، وأحمد في المسند (منتخب كنز العمال: ٥/ ١٣٥).

(٢) أسامة بن زيد- حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن حِبّه، د. وهبة الزحيلي، ٩٠- ٩٢

روى ابن حجر العسقلاني عن يحيى بن بكير أنه قال: سمعت شرحبيل بن زيد يقول: «أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون، مثل: يزيد بن حبيب، وعبد الله بن أبى جعفر، وجعفر ابن أبى ربيعة، والحارث بن يزيد، وابن هبيرة، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة، ومن علماء أهل الشام للرباط، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب، وأنهم ليعرفون فضله، ويقدمونه ويشار إليه»، وقال يعقوب بن سفيان، سمعت يحيى بن بكير يقول سمعت الليث يقول: رآني يحيى بن سعيد الأنصاري، وقد فعلت شيئًا من المباحات فقال لا تفعل، فإنك إمام منظور إليك.

قلت ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث، لقد كان إمامًا منظورًا إليه وهو يومئذ حدث شاب.

يقول الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود: وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ، فإنه قد بلغه بجده واجتهاده، وبلغه بذكائه المتوقد، وذاكرته القوية.

ولم ينم الفتى الإمام على شهرته هذه التي بلغها، وإنما واصل الليل بالنهار في الدراسة والأخذ عن العلماء، وكان أستاذًا يدرس للجمهور وللعلماء، وتلميذًا يتلقى عن العلماء واستمر كذلك إلى نهاية حياته»[1]، وعلى نفس المنهجية العلمية كان الإمام أبو حنيفة يعيش

(١) الليث بن سعد- د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ٣٥- ٣٦.

حياة من التيسير والتسامح والحرية[1]، حرية وتسامح وتيسير بين نفسه وبين تلاميذه، وبين نفسه وبين الناس وفى الأقوال والأفعال كان تلاميذه يخالفونه لمجرد أنهم يخرجوا ما عنده من كنوز، سئل أبو يوسف يومًا لماذا قضى برأي أبى حنيفة، وقد كان يخالفه فيه، فقال: كنا نخالفه لنستخرج ما عنده.

وكما كانوا يحاولون أن يستخرجوا ما عنده من الكنوز، كان يريدهم على أن يخرجوا ما عندهم لتقوى شخصياتهم وتنمو ملكاتهم، وتفيد الحلقة من نبوغهم.

بهذه الحرية التي كانت لهم من أنفسهم ومع الأستاذ اختلطت ذواتهم بذاته، فمكنت للمدرسة أسباب النجاح، قال رجل أخطأ أبو حنيفة، فقال آخر: كيف يخطئ ومعه أبو يوسف وزفر؟ ثم عدد بقية من التلاميذ.

ولئن كان أفلاطون قد علق على باب مدرسته «لا يدخل علينا من ليس له عقل هندسي».

فإن أبا حنيفة طالما قال: «اللهم من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له».

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام- عبد الحليم الجندي، ٧٥- ٧٦.

وقال: «علمنا هذا رأى، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه».

إن هـذه النمـاذج الإنسـانية الرائعـة لابـد وأن تسـطع في سـماء الشباب، ولا بـد مـن استحضـارها في مؤسسـاتنا ومناهجنـا، في مدارسـنا ومعاهدنا وجامعاتنا بين الأساتذة والطلاب، في داخل أسرنا وبيوتنا.

إن هذا يحتاج إلى أن تتحول تلك المثل إلى برامج عملية بعيدًا عن التنظير الذي أدى إلى تلك الحالة من الاستعلاء وإهمال الشباب، وفى كثير من الأحايين الرفض والتقليل من شأنهم بشكل أو بآخر وعدم إعطائهم الفرص المناسبة بدافع عدم الثقة فيهم، فمتى تتحقق الثقة في الشباب؟؟!



الحوار مع الشباب ضرورة حياتية

تتعرض المجتمعات العربية الإسلامية لموجات خطيرة من التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية أثرت سلبًا على عقول الشباب، وفرضت تحديات كبيرة على واقعنا المعاصر، فخلال فترة قليلة تم التأثير على فكر وسلوك مجموعات من الشباب، وتم استقطابهم لينحازوا فكريًا إلى تيارات منحرفة لا تعمل للمصلحة العامة، بل تحركها مصالح خاصة وأجندات سياسية محددة، ولا شك أن المناخ العام أثر تأثيرًا سلبيًا على توجهات فئات من الشباب ممن يعيشون حالة من الفراغ الفكري والاجتماعي والاقتصادي، حيث أصبحت مؤسسات التعليم تعيش حالة من الضعف والترهل سواء من ناحية مناهج التعليم أم أساليبه التي تعتمد على التلقين والحفظ والاكتفاء بالدروس الخصوصية فضلًا عن ظاهرة الغش وما بين ذلك، فكانت النتيجة تخريج فئات غير قليلة تعيش حالة من الانفصام عن الواقع العملي، ولا تمتلك المهارات التي تحتاجها أسواق العمل، مما أدى إلى ارتفاع نسبة البطالة، ولا شك أن الشباب تأثر بسبب غياب الحوار وغياب القدوة، وضعف برامج التربية، وتدني القيم في الحياة العامة، وتغير دور الأسرة وضعفها، والانفتاح الإعلامي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتردي الأحوال الاقتصادية كل ذلك وغيره أدى إلى ضعف الأمل في نفوس الشباب، وجعله يعيش أزمة نفسية خاصة في

ظل التقلبات التي يشهدها الوضع الاقتصادي في العالم العربي والإسلامي.

إن قضايا الشباب من أهم القضايا التي يجب أن تشغل اهتمامات الأسرة والمجتمع ومؤسسات التعليم والإعلام وجميع مؤسسات الدولة، حتى نحافظ على تلك القوة العظيمة التي تمتلك مخزونًا هائلًا من الطاقات والقدرات والعزائم التي تحتاج إلى استثمارها وحسن توجيهها وترشيدها فيما يحقق المصلحة الوطنية.

إن الفجوة الموجودة بين الشباب والمجتمع أثرت تأثيرًا سلبيًا على تفكيرهم وإن علاج هذا الواقع يحتاج إلى الحوار مع الأبناء داخل الأسرة والمدرسة والجامعة لتحقيق التواصل وإتاحة الفرص لنمو الشخصية وبنائها بعيدًا عن اللوم والحكم المتسرع والتوجيه القاسي، والتعنيف، والزجر، وإملاء الأوامر التي تشعر الأبناء أو الشباب بضياع شخصياتهم، مما يؤدي إلى الكبت والقهر وعدم التكيف مع المحيط الأسري والاجتماعي، فيندفع الشباب إلى الانزواء والبحث عن مجالات للتنفيس عما بداخلهم.

ومن ثم فلا بد من الحوار البناء والهادف معهم، واحترام وجهات نظرهم ومناقشتهم بموضوعية وواقعية، ولعل اهتمام القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة بالحوار دليل على أهميته وضرورته؛ لأن الحوار مهم لكل إنسان وفي كل زمان ومكان.

وفي كل ميدان من ميادين الحياة؛ ولذا حينما يغيب الحوار، تتباعد العقول، وتتنافر القلوب بسبب النظرة الدونية للآخرين، وعدم الاهتمام بآرائهم، والتسخيف من عقولهم وأفكارهم، وعدم الاستماع لآرائهم، وعدم الثقة فيهم، والمصادرة على حقهم في التعبير فلا يسمع لهم، فهل يمكن أن يحدث تقدم في أي مجال إذا كان الواقع هكذا؟

إن الله تعالى ذكر لنا في القرآن الكريم حواره مع الملائكة ومع السماء والأرض ومع موسى عليه السلام ومع إبليس ـ حتى إبليس حاوره الله تعالى ـ وغير ذلك من صور الحوار التي حفل القرآن الكريم بذكرها، والنبي ﷺ حاور المشركين والأعراب واليهود والنصارى وحاور الصغار والكبار والشباب والخدم؛ لأن الحوار من أهم أساليب التربية الإسلامية؛ لأنه ينطوي على احترام الذات الإنسانية، ويعمل على الحث على التفكير الموضوعي والواقعي، ويستثمر الجوانب الإيجابية في شخصية الإنسان، ويشجع على النقد البناء، ويعمل على بناء الشخصية، وتقوية ثقة الفرد بنفسه مما يؤثر إيجابًا على تفكيره، ويدفعه إلى الانخراط في المجالات التي تناسب قدراته ويولد لديه الرغبة في تنمية مهاراته وتحسين أدائه في أي موقع يعمل فيه؛ لأن

الشباب دعامة الإنتاج في جميع ميادين الحياة في الصناعة والتجارة والزراعة وغير ذلك، فهم أقدر فئات الأمة على الإنتاج والتطوير، وهم أمانة في أعناق المجتمع والدولة، ومن ثم فإن التعاون بين المؤسسات المختلفة قضية مهمة في حل مشاكل الشباب وانتشالهم من الفراغ الفكري والاجتماعي والوطني والاقتصادي؛ لأن عملية دمج الشباب في المجالات المختلفة تُشعر الشباب بقيمته وبذاته وتُعمِّق الانتماء في نفسه، فيلتِحم بالمجتمع من منطلق استشعاره المسؤولية نحو هذا الوطن الذي يعيش فيه وينعم بخيراته، فلا بد من تحميل المسؤولية للشباب، وهذا لا يتأتى إلا بإفساح الفرص المناسبة لقدراتهم للتعبير عن ذواتهم، ووضع برامج قوية للتدريب والتأهيل المستمر.

وقد جاءت أعمال المؤتمر الوطني الأول للشباب في شرم الشيخ في نهاية أكتوبر ٢٠١٦م لتترجم اهتمام الدولة بالشباب وتأهيل الكوادر الوطنية المدربة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا من خلال نظم ومناهج ثابتة ومستقرة تدعم الهوية المصرية، وتضخ قيادات مصرية شابة في كافة المجالات.

أهمية فهم ذهنية الشباب:

إن التعامل مع الشباب يحتاج إلى معرفة ودراية بخصائص تلك المراحل التي يمرون بها حيث الرغبة في التساؤلات والمناقشات

والأسئلة المختلفة، وربما الإصرار على إجابات معينة تتوافق مع توجهاتهم، وتتسم حياتهم بغزارة العواطف الدينية[1] والانخراط في الأعمال التطوعية التي تتصل بالقوة والبطولة والتضحية وشدة التأثر والانفعال بما يسمع ويشاهد فضلًا عن التقلب في الأمزجة والعواطف، وقد استطاعت جماعات العنف والإرهاب والقتل أن تصل إلى فئات من الشباب من خلال الضغط على هذه النقاط بأساليب علمية عالية التقنية عبر الفضاء الإلكتروني مستغلة حاجات الاقتصاد والنفسية وحالة الفراغ التي تعيشها تلك الفئات.

كيفية التعامل مع الشباب:

لا شك أن واقع الشباب حافل بالمرارة والحسرة، حيث تعيش مجموعات منهم حالة من الضياع والتيه بسبب الفراغ في حياتهم وشعورهم باليأس والإحباط، مما يستوجب انتشالهم من هذا الواقع البئيس؛ ولذا فإن النبي ﷺ عُني بالشباب عناية كبيرة في جميع النواحي حيث أكد النبي ﷺ على محبة الشباب واحترامهم وتقديرهم.

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ أخذ بيده يومًا

(١) علم النفس التكويني، د. عبد الحميد الهاشمي، ص٢٤٨.
- مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، حمدي شاكر محمود، ص٢٤٣.
- دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري - هلال حسين، ص٧٣ - ٧٨.

ثم قال «يا معاذ إني لأحبك» فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! وأنا أحبك. قال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(١).

نلمح في هذا الموقف النبوي العجيب الوسيلة المثلى للتوجيه، وهي الدخول من باب الحب، الذي يوجه طاقات النفس كلها إلى الخير، ويدفع الإنسان إلى الطاعة والمبادرة، إنه الحب في الله، الذي هو أفضل الأعمال.

العناية بالأوضاع الاجتماعية للشباب:

روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فلما دنونا من المدينة قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بعرس فإذن لي في أن أتعجل إلى أهلي. قال: أفتزوجت؟ قلت: نعم، قال: بكرًا أم ثيبًا؟ قلت: ثيبًا. قال: فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك! فقلت: إن عبد الله - يعني أباه - هلك وترك علي جواري فكرهت أن أضم إليهنّ مثلهن! فقال لا تأت أهلك ظروفًا - أي ليلًا: قال: وكنت على جمل فاعتل، قال فلحقني رسول الله ﷺ وأنا في آخر الناس، فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: اعتل بعيري. قال: فأخذ بذنبه ثم

(١) رواه أحمد، كتاب مسند الأنصار رضي الله عنهم، باب حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، حديث رقم (٢١١٠٣).

زجره، قال: فما زلت في أول الناس يهمني رأسه، فلما دنونا من المدينة قال لي رسول الله ﷺ: ما فعل الجمل؟ قلت: هو ذا. قال: فيعتبه. قلت: لا بل هو لك. قال: يعنيه، قلت: هو لك. قال: «لا قد أخذته بأوقيه. اركبه فإذا قدمت فأتنا به».

فلما قدمت المدينة جئت به فقال: «يا بلال زد له وقية وزده قيراطًا، قلت: هذا قيراط زادنيه رسول الله ﷺ لا يفارقني أبدًا حتى أموت. قال: فجعلته في كيس، فلم يزل عندي حتى جاء أهل الشام يوم الحرة، فأخذوه فيما أخذوا!!(1).

في هذا الموقف العظيم مع النبي ﷺ تجاه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يظهر لنا النبي الكريم أن العناية بالشباب ورعايتهم لا تتوقف عند حد التوجيه والإرشاد فحسب؛ بل لا بد من تفقد الأحوال الاجتماعية لهم، وهذا الاهتمام يقوي عزائمهم ويسرع نضجهم واكتمالهم وإعدادهم لمواقف الحياة.

العناية بالأوضاع الاقتصادية للشباب:

في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده يقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وترك أبي دينًا من التمر، فاشتد عليَّ بعض غرمائه في التقاضي، فأتيت

(1) رواه أحمد، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٣٨٥٧).

نبي الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، إن أبي أصيب يوم أحد وترك عليَّ دينًا من التمر، واشتد عليَّ بعض غرمائه في التقاضي، فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من تمره إلى هذا الصرام المقبل. فقال: نعم آتيك إن شاء الله قريبًا من وسط النهار»[1]. فهنا رسول الله ﷺ يبادر إلى الوقوف مع جابر بن عبد الله إزاء المشكلة التي سببت الهم، مما جعل النبي ﷺ يقول له: «ما لي أراك مهتمًا؟»، وهذا دليل على أن اهتمام التربية الإسلامية المتمثلة في المنهج النبوي لا يقوم على توجيه النصح فحسب، بل يقرر أن للأوضاع الاقتصادية وطأتها الشديدة، وأن المواعظ وحدها لا تكفي، ولا بد من مجابهة وقائع الحياة بما يُعين الشباب المسلم على الاستقامة، ويريحه من وطأة الهموم.

ضرورة الثقة بالشباب:

حين بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، ولاه على القضاء بينهم، فترة مُقامه فيهم، وتلك ثقة غالية، ودلالة واضحة على إتاحة الفرصة للشباب السليم ليحمل أعباءه في المجتمع الإسلامي.

وهو مسلك كريم يحل كثيرًا من مشكلات الشباب الذين يعانون من وطأة الكبار ويشعرون أن شبابهم هو الذي يؤخرهم، وأن الثقة لا

(١) رواه أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب: باقي المسند السابق، حديث رقم (٣٩٨).

تكون إلا في الشيوخ، وهنا يحصل التباعد بين فئتي: الشباب والشيوخ، ويعيش كل منهما في عالمه، أما المجتمع الإسلامي الأول فقد كانت الثقة بالشباب واضحة؛ لأنه شباب رُبِّيَ على أقوم منهج؛ وقد كان ذلك بالحب لا بالكره، وبالتشويق لا بالقسر، وبالتعليم لا بالتوبيخ.

وقد سأل الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه قبل سفره إلى اليمن: كيف تقضي بينهم؟

ولم يلقنه كيف يقضي بينهم، بل أراد أن يعرف ما لديه في هذا الشأن، فإن وجده صائبًا كافيًا أقره عليه، وإلا زوده بما يحتاج.

إنه أسلوب حكيم ينبغي أن يقف أمامه المربون والموجهون، الذين يظنون أن الخير كله في كثرة الأمر والتلقين والتأكيد، فيؤدي ذلك إلى ملل الشباب، ونفورهم من هذه الطريقة، بل إلى الاتجاه عكس ما يُؤمرون به.

وأجاب معاذ: «أقضي بينهم بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله. قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله. قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[(١)].

(١) رواه الترمذي، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي، حديث رقم (١٢٤٩).

هكذا أقر الرسول ﷺ منهج معاذ بن جبل في القضاء، وأقره على الاجتهاد برأيه، إن لم يجد في النص حُكْمًا صريحًا.

وكان الرسول ﷺ على ثقة بأن معاذًا رضي الله عنه، مع شبابه وفتوته، لن يصدر في اجتهاده عن هوى، ولن تجنح به نزوة، ولن يستخفه طمع، فقد رباه رسول الله ﷺ فأحسن تربيته.

وهكذا كان الشباب في ظل التربية الإسلامية الراشدة، ويجعل طاقته كلها في سبيل الله، فقد عرف غايته وأدرك الواجب المُلْقى على عاتقه.

أهمية التجاوز عن هفوات الشباب وزلاتهم:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا)، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه، مه، فقال: «ادنه»، فدنا منه قريبًا، قال: «اجلس»، قال: «أتحبه لأمك»؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك»؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك»؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك»؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك»؟. قال: لا والله، جعلني الله فداءك

قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

في هذا الموقف الفريد من نوعه منهج نبوي كريم في رعاية الشباب، يوجّه من خلاله المربي الأول ﷺ رسالة للمربين والقائمين على شؤون الشباب، حيث إن الإنسان كما جبله الخالق جل وعلا مُعرّض للخطأ والزلة، ولا سيما إن كان في أوّل مشوار حياته، إذ يجب عدم الأخذ على الشباب من أول هفوة أو زلة وقع فيها، فلا بد من بيان ذلك الخطأ الذي وقع فيه، ثم بيان المنهج الصحيح في ذلك الموقف، ليأخذ به عن قناعة واقتناع؛ ليصبح له منهج صحيح في الحياة[2].

إن فتح أبواب الحوار مع الشباب في القضايا المختلفة التي تتناسب مع تأهيلهم وقدراتهم ضرورة حياتية تتطلب العناية والرعاية بهم حتى نعمق الانتماء والولاء للوطن في نفوسهم ونُعلي قيمة المواطنة في مواجهة التحديات التي تتطلب المزيد من العمل والإنتاج والإخلاص ودمج الشباب في المجالات المختلفة .

(١) رواه أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (٢١١٨٥) الصدي بن عجلان: (٤/ ٣٣٩).

(٢) دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، هلال حسين، ص٨٥-٨٩.



البحث العلمي وحاجته للوقف

أهمية البحث العلمي:

يعد البحث العلمي أساس النهضة والتطور، ودعامة التنمية الشاملة التي تنشدها دول العالم قاطبة، ولقد أخذت الدول في الوقت الراهن تتنافس في إنشاء مراكز البحث العلمي ومعامله، اقتناعًا منها بأن البحث هو مصدر القوة، وأساس التقدم، والدفع بعجلة الحضارة قدمًا إلى الأمام، ذلك أن تطبيق الأسلوب العلمي في البحث والاستقصاء، وحل المشكلات بإتباع المنهج العلمي، أصبح ضروري تمليها ظروف الحياة الراهنة، وما يحيط بها من تعقيدات وعامل مساعد على تحقيق الرفاهية للوطن والمواطنين .

إن البحث العلمي يمثل قاعدة أساسية من قواعد التقدم الحضاري الإنساني، ومع تطور وتشعب البحث العلمي وأساليبه، وظهور الجانب التطبيقي وطرائقه، قطع العلم التجريبي والتطبيقي أشواطًا بعيدة الأثر، وأنشأت لذلك قواعد المعلومات وأوعيتها المقروءة والمسموعة والمرئية، وأصبح البحث العلمي حجر الزاوية في برامج التخطيط والتنفيذ والتقييم.

وأنشئت لذلك مراكز ودور للبحث والتحليل والاستنتاج، تستقى منها المعلومات وتستجلى منها الحقائق(١).

ولا شك أن البحث العلمي هو مفتاح التنمية ونقطة الانطلاق نحو تحقيق الأهداف؛ لأنه أساس العلم والمعرفة، والعلم هو مولد التقنية التي تدفع عجلة التنمية لتطوير متطلبات الحياة من إنتاج وخدمات، ولذلك فإن التقنية التي لا يدعمها البحث العلمي لن يكتب لها التقدم، وسيظل البحث والتطوير يمثلان لب العلوم والتقنية.

إن تطور العلوم والتقنية هو السبيل إلى التنمية الشاملة التي تلبي المتطلبات العصرية للأمم، ولقد أدى التطور العلمي والتقني إلى توافر الأدوات والوسائل والمعلومات، بالإضافة إلى العنصر البشري المؤهل للتعامل معها، والاستفادة منها بشكل أفضل، حيث ساعد ذلك على تحسين الأحوال المعيشية بتوفير الغذاء والماء والرعاية الصحية والتعليم والمواصلات، والاتصالات، ومتطلبات الحياة الأخرى.

(١) مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، البحث العلمي في خدمة المعوقين، د. محسن ابن علي الفارسي ص٣، ط/ ١، مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.



واقع البحث العلمي في العالم الإسلامي

لقد أدى تفتيت العالم الإسلامي إلى إفقاره على الرغم من ثرواته البشرية، والطبيعية الهائلة، فالغالبية العظمى من سكان الدول الإسلامية اليوم (باستثناء الدول النفطية) تعيش تحت الحد الأدنى للكفاف اللازم لصون كرامة الإنسان، مما أدى إلى إهمال عملية التنمية البشرية والمادية، حيث أهمل التعليم؛ وبإهماله تفشت الأمية، وساءت الأحوال الصحية، كما أهملت التنمية الزراعية والصناعية والاجتماعية في غالبية الدول الإسلامية، وبإهمالها تقلص الاقتصاد، وزادت الديون ولم يعد هناك مجال للأخذ بأسباب التقدم العلمي، أو التقني، خاصة وأن الدول الإسلامية الكبرى يعوزها المال، وأن الدول الغنية - وهي القادرة - ماديًا على ذلك تعوزها الكفاءات العلمية في بعض المجالات.

إن دول العالم الإسلامي غنية بطاقاتها البشرية، وثرواتها الطبيعية، حيث تملك العديد من هذه الدول مخزونًا استراتيجيًا كبيرًا، ولكن العالم الإسلامي بحاجة إلى تنسيق الجهود وتخطيط كبير وأهداف واضحة، ولكن هيهات، هيهات أن تترك القوى العالمية دول العالم الإسلامي لتفكر أو تتجه إلى ذلك، فلقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في جعل المناطق الهامة في العالم الإسلامي مناطق صراع، ومناطق ساخنة، ومرشحة لعدم الاستقرار، مما أثر على بقية دول العالم الإسلامي، ولا أدل على ذلك من الحروب والدمار الذي حدث

في ليبيا وسوريا والعراق واليمن والمخططات الدولية لتوطين التنظيمات الإرهابية في دول المنطقة، وقد انعكس ذلك على جميع مجالات الحياة وبخاصة مجالات البحث العلمي، والتقدم التقني، تلك المجالات التي تحتاج إلى دعم وتمويل كبير .

لقد نجحت الدول المتقدمة ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في استقطاب العقول البشرية المميزة من دول العالم الإسلامي، نظرًا لاعتبارات كثيرة أغرت هذه العقول، حيث وجدت المناخ العلمي الملائم للإبداع والابتكار، وعاشت حياة شعرت فيها بالكرامة، والإحساس بالذات، وغير ذلك مما يليق بكرامة الإنسان التي قد يفتقدها في بلده ووطنه الذي عاش فيه، لهذه الاعتبارات ولغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها، ومن أهمها الدعم المادي والمعنوي: هاجرت عقول بشرية إسلامية إلى عدد من الدول الغربية، فأبدعت وأنتجت، وأفادت منها هذه الدول في مجالات متعددة.

أهمية الوقت للبحث العلمي

لقد أسهم الوقت إسهامًا عظيمًا في دفع مسيرة التنمية الحضارية في العالم الإسلامي على مدى فترات طويلة، فكان المورد المالي المهم لدعم الأنشطة الدينية والعلمية والثقافية في المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال الإنفاق على العلماء وطلاب العلم والبحوث العلمية

والمختبرات التي جهزت بالتجهيزات اللازمة بتمويل من الوقف، مما ساعد العلماء آنذاك على إجراء التجارب والقيام بالبحوث العلمية، سواء في مجال العلوم التجريبية، أو في مجال العلوم النظرية ـ الشرعية ـ هذا فضلًا عن الإنفاق السخي على المكتبات والمخطوطات العلمية الثمينة، وتوفر المصادر والمراجع اللازمة للعلماء والطلاب، وكفالة طلاب العلم، وتيسير رحلاتهم العلمية، وتأمين كافة احتياجاتهم، مما أدى إلى تهيئة المناخ العلمي المناسب الذي برزت فيه المواهب، وتنافس فيه طلاب العلم، فعكف العلماء على بحوثهم وتجاربهم، فأدى ذلك إلى ازدهار العلم والحضارة الإسلامية، وانتشرت الثقافة الإسلامية، وقد أفادت كافة فئات المجتمع المسلم آنذاك من الدعم الوقفي للبحث العلمي والثقافة الإسلامية، واستوي في ذلك الأغنياء والفقراء، والقوي والضعيف، وكافة شرائح المجتمع.

ولكن بعد أن مني العالم الإسلامي بالاحتلال الأجنبي الذي قام بمصادرة أعداد كبيرة من أوقاف المسلمين، فتراجع دور الوقف في المجتمع، وليس ذلك فحسب، بل أن الوقف تعرض لعمليات المصادرة النهب والاستغلال والإهمال في إدارة الأوقاف، كل ذلك أسهم في انحصار الوقف وتلاشيه، وغياب دوره الذي كان يؤديه في كافة المؤسسات الموجودة في المجتمع الإسلامي.



ولكن في ظل الأوضاع الاقتصادية السيئة الموجودة في العالم الإسلامي الآن أصبحت الحاجة ملحة وضرورية لاستعادة دور الوقف، وعودته لتمويل المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وإن ذلك يتطلب تضافر جهود من لديهم القدرة المالية في تخصيص جزء من أموالهم لدعم مشروعات التنمية في مجتمعاتهم والإفادة في ذلك من التجارب المعاصرة في مجال الاستثمار الوقفي، التي نجحت في بعض الدول؛ ليكون عملًا مؤسسيًا منظمًا يتلافى عيوب الماضي، ويعمل على توسيع دائرة الوقف؛ لتخفيف العبء عن موازنة الدولة خاصة في مجال البحث العلمي ونشر الفكر الصحيح والمستنير، حيث إننا نعيش عصر التحديات التي يستدعي حفز الهمم وتشجيع البحث العلمي والإبداع الفكري والتسلح بالثقافة الإسلامية التي من خلالها يتحصن المسلم ضد الغزو الثقافي وغيره من أنواع الغزو والتغريب.

ولكن كيف يمكن التغلب على مشكلة ضعف البحث العلمي في دول العالم الإسلامي؟

لاشك أن البحث العلمي يحتاج في المقام الأول إلى الدعم المادي الكبير، الذي من خلاله يتسنى التمويل لمشروعات البحث العلمي في العديد من المجالات العلمية، هذا بالإضافة إلى الكوادر

العلمية المؤهلة والمدربة والتي لا يمكن إعدادها إلا من خلال الجامعات والمعاهد العلمية ذات المناهج العلمية الحديثة والمتطورة والمعامل والمختبرات العلمية المجهزة بأحدث الأجهزة العلمية، هذا فضلًا عن الحاجة إلى عمليات الابتعاث إلى الجامعات في الخارج للإفادة من التقدم العلمي والتقني، لأجل توطين التقنية والنهوض بالبحث العلمي، ناهيك عن رعاية العلماء والباحثين والموهوبين، الأمر الذي يحتاج إلى الأموال الضخمة لتمويل تلك المشاريع الطموحة والكبيرة، وحتى نكون واقعيين في تصوراتنا وبعيدين عن النسج في الخيال، نقول إنه في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية في معظم بلدان العالم الإسلامي وضعف ميزانيات البحث العلمي أيضًا.

إنه لا يمكن علاج هذه المشكلة إلا بقيام القادرين بوقف جزء من أموالهم على البحث العلمي ومشروعاته حتى يتسنى حل العديد من المشكلات المرتبطة بالبحث العلمي نظرًا لضعفه في العديد بل في معظم دول العالم الإسلامي وحاجاته إلى الدعم المادي الكبير؛ لأن البحث العلمي بطبيعته مكلف اقتصاديًا، ولا أدل على ذلك من أن ميزانية المركز الوطني للبحوث يفوق موازنات عدد كبير من الدول الإسلامية ولذا فإن أنسب آلية لتمويل البحث العلمي في العصر الحاضر هو الوقف، لاسيما في ظل الظروف الاقتصادية في العالم الإسلامي، ذلك أن الوقف مصدر دائم ومستقر للتمويل وهذه تعد من

أولى الأولويات بالنسبة للبحث العلمي، ذلك أن استقرار أو استمرار التمويل يحقق أهدافًا عدة لعل من أبرزها:

الاستمرار في العمل، توفير المناخ الدائم والإمكانات اللازمة للتخطيط المستقبلي وقد مارس الوقف ذلك الدور تاريخيًا، حيث وجد أن معظم المشروعات التي أنشأت لدعم من أموال الأوقاف استمرت في أداء رسالتها ودورها دون توقف، ولعل دور الوقف في التعليم مثال واضح لذلك(١).

إننا حينما نتحدث عن الوقف ودورُهُ في خدمة البحث العلمي لا نتحدث عن تصورات ذهنية مجردة عن الواقع، وإنما نتحدث عن واقع علمي حدث بالفعل، وعاشه المسلمون قرونًا خلت إبَان تمسك المسلمين بتعليم دينهم، ورغبتهم في رضوان الله تعالى، لقد أسهم الوقف الإسلامي إسهامًا عظيمًا في خدمة البحث العلمي مما أدى إلى تقدمه وازدهاره في العصور الإسلامية الزاهرة الأمر الذي أدى إلى ريادة المسلمين في مجال العلوم النظرية والتقنية، وأسهم في بناء الحضارة الإسلامية التي كان لها دور في تقدم أوروبا، لاسيما بعد عملية النقل التي قام بها الأوروبيون والإفادة من الحضارة الإسلامية .

(١) انظر : تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها د. ناصر سعد الرشيد ص٩. الوقف والتنمية الاقتصادية د. عبد الله الباحوث ١٦٣- ١٦٤ .



الوقف ودوره في ازدهار البحث في مجال العلوم الشرعية

كان للوقف الدور الأساسي - في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي في خدمة البحث العلمي حيث أسهم الوقف بموارده الضخمة في تمويل المؤسسات العلمية التي كان يتخرج فيها العلماء والباحثون مما أدى إلى ازدهار العلم وعمل على إزكاء روح البحث فنشط العلماء وطلاب العلم في شتى المجالات العلمية.

لقد لعب الوقف الإسلامي دورًا رئيسيًا في نشر التعليم وفي التقدم العلمي الذي شهادته الحضارة العربية الإسلامية، فقد كان السبب الرئيسي لأغلب الانجازات العلمية والحضارية التي شهدها العالم في العصر الوسيط، وكان هو اللبنة الأولى للتعليم والتدريس، ولم تكن المساجد إلا مؤسسات وقفية(1).

إن جهابذة العلماء والفقهاء والمحدثين تخرجوا في المسجد مثل الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ وكذلك أئمة الفقه الإسلامي الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك بن أنس، والإمام أحمد بن حنبل، وكذلك تخرج المحدثون في المسجد من أمثال البخاري ومسلم رحمهما الله وغيرهما.

(1) الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد ٢٣١ .



إن أكثر ما استخدمت المساجد له إلى جانب العبادة إنها كانت بمثابة مراكز للتعليم ـ وبمرور الزمن ازدهرت المساجد وخاصة الكبرى، ومنها مثل: مسجد الكوفة ١٤هـ، ومسجد البصرة ١٧هـ، ومسجد عمرو بن العاص ٢١هـ، والمسجد الأموي ١٩هـ، وجامع ابن طولون بالقاهرة، ومسجد القيروان، وجامع صنعاء، وجامع الأزهر، وجامع المنصورة في بغداد وغيرها، وكلها كانت مراكز علمية عكف فيها الطلاب لجمع العلوم الشرعية وغيرها، وعلوم اللغة، لكل هذا عُني بها أهل الخير ووقوفوا الأموال الطائلة على إنشائها وصيانتها وعلى القائمين عليها.

لقد بلغ التقدم العلمي في بعض المساجد إنها أصبحت جامعات كالجامع الأزهر وجامعة قرطبة وجامع القرويين وجامع الزيتونة، وكانت الأوقاف الخيرية هي التي تشكل المورد المالي لهذه المساجد.

وقد خصصت أوقاف كثيرة على حلقات العلم في جامع عمرو بن العاص في مصر، من زاوية الإمام الشافعي، يقال أنه درس بها الشافعي فعرفت به، وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن الملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء، وهذا يشهد بالنشاط العلمي الذي اتخذ من هذا الجامع مركزًا على مدى قرون وكان الوقف أكبر معين في ذلك بعد الله تعالى .

ولقد كان لجامع الأمويين في دمشق دور تعليمي، وإسهام علمي حيث كان لهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم[(١)].

ويمد الأزهر من أهم المدارس العلمية الشرعية في تاريخ الإسلام، إذ عاش الأزهر يؤدي رسالته في نشر العلم، وخدمة العلماء وطلاب العلم أكثر من ألف عام، ومازال الأزهر يمثل قلعة حضارية وعلمية على مستوى العالم، ولعلمائه جهود بارزة في البحث العلمي في مجال العلوم الشرعية واللغوية وغير ذلك من مجالات العلوم.

والذي ساعد الأزهر على الاستمرار في هذا الدور التاريخي، هو الوقف حيث دعمه اقتصاديًا، فالعامل الاقتصادي شكل القاعدة الاقتصادية التي ارتكز عليها الأزهر طوال تاريخه الطويل.. وقد ظلت هذه الموارد تنمو على مر العصور، وتوالت أوقاف أهل البذل من السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر على مر العصور، وكان الحكام يعززونها جيلًا بعد جيل، وقد استمرت هذه الموارد تزداد شيئًا فشيئًا حتى تضخمت[(٢)].

وبعدُ فقد كان للوقف دور بارز في خدمة البحث العلمي في مجال العلوم الشرعية من خلال الإنفاق على العلماء والطلاب، حيث كانت

(١) انظر: دور الوقف في دعم المؤسسات والوسائل التعليمية، د. صالح سليمان الوهيبي ١١- ١٢.
(٢) انظر : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي ٢/ ٣٤٤ .

المساجد في السابق بمثابة جامعات علمية، يتخرج فيها الطلاب بعد تأهيلهم التأهيل العلمي المناسب الذي من خلاله يتسنى لهم الإسهام في تقدم مجتمعاتهم، علمًا بأن التدريس في المساجد آنذاك لم يقتصر على مجال العلوم الشرعية، بل درست العلوم الإنسانية، وفي بعض الأحيان العلوم التجريبية مثلما حدث ذلك بعد تطوير الأزهر، وإنشاء الكليات العملية التي أصبح لها شأن عظيم في المجالات والتخصصات المختلفة .

إن الوقف قام بدور تاريخي عظيم في ازدهار البحث العلمي في مجال العلوم الشرعية، ولا أدل على ذلك من هذا التراث العلمي الضخم الذي كان ثمرة طيبة لجهود العلماء في فروع العلوم الشرعية، حيث كان الوقف هو الدعم الأساسي لبذل تلك الجهود في مجال التأليف والتصنيف والاجتهاد، وتم ذلك في عدد من الميادين العلمية سواء في المساجد أو المدارس الملحقة بها أو المستقلة عنها، أو في الجامعات التي انبثقت بعد ذلك مثل: جامعة الأزهر، وجامعة الزيتونة بتونس، وجامعة القرويين بالمغرب، وجامعة المستنصرية ببغداد .



التأثير الثقافي للدعم الوقفي للمساجد

ركز الإسلام على أهمية بناء الإنسان من الناحية الخلقية والفكرية والتربوية والاجتماعية، فضلا عن البناء الروحي (العقدي) وأهمية تأصيل العقيدة في قلب الإنسان، وقد أسهم الوقف في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، حيث حملت المساجد مشاعل العلم والمعرفة؛ لتقدمها إلى العالم شرقًا وغربًا من البلاد العربية والإسلامية، واستطاعت المراكز العلمية التي كانت تابعة لنظام الوقف بالبصرة والكوفة وبغداد، ودمشق وحلب، والقاهرة والقيروان وغيرها أن تؤدي رسالتها العلمية والتنويرية، وتقدم مختلف المعارف الكونية الضرورية منها، والتكميلية في حلقات الدرس بالجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، والجامع الأموي، والجامعة المستنصرية، وجامع القيروان، وغيرها .

حيث بذل المسلمون قديمًا وحديثًا من أموالهم وأوقاتهم الشيء الكثير في سبيل دعم العلم والعلماء، بل وفي كافة وجوه الخير التي يأتي العلم والعلماء في مقدمتها، ومع وجود الدعم المالي لهذا المشروع العلمي لدى الأمة الإسلامية. فإن الدعم كان يتفاوت من وقت لآخر، ومن دولة لدولة، ومن بلد لبلد .

إلا أن الثقافة الإسلامية انتشرت انتشارًا قويًا من خلال التمويل الوقفي الذي كان بمثابة ثقافة مجتمع آنذاك، حيث كان المسلمون يدركون حقيقة تعاليم الإسلام التي لم يحصروها في العبادات فقط أو في مظاهر التدين الشكلي الذي يُفرغ الإسلام من محتواه، وإنما أدرك المجتمع أهمية العلم وضرورة الدعم المادي؛ لتوفير الأجواء العلمية اللازمة للبحث والمعرفة، حيث كانت المساجد هي المحاضن العلمية ومراكز الإشعاع المعرفي.

فعلى عهد رسول الله ﷺ كان مسجده في المدينة، هو الجامعة الأولى التي ربى فيها رسول الله ﷺ أصحابه على يديه خير تربية، حتى فقهوا دين الله، فكان الصحابة رضي الله عنهم يختلفون إلى مسجد رسول الله ﷺ، فيصيبون علمًا وهدىً.

لذا عُني المسلمون بأمر المساجد منذ فجر الإسلام، وأولوها رعايتهم وعنايتهم، لما لها من أثر عظيم في توجيه المجتمع في مجالات الحياة المختلفة مثل: الثقافة والتعليم والتربية وغير ذلك .

ومن ثم فقد كثرت الأوقاف على المساجد والعلماء، فلم تكن المساجد في البلاد الإسلامية، إلا مساجد وقفية ثم إن خدمتها وصيانتها كانت مما حُبس عليها من الأموال الوفيرة .

وبمرور الزمن ازدهرت المساجد، وخاصة الكبرى منها، وكلها

كانت مراكز علمية، عكف فيها الطلاب لتلقي العلوم الشرعية والعلمية، وعلوم اللغة، لكل هذا عُني بها أهل الخير، ووقفوا الأموال الطائلة على إنشائها وصيانتها، وعلى القائمين عليها من علماء وقراء، ووعاظ وطلاب علم وعاملين .

إن آثار الوقف على المساجد شهد بها القاصي والداني، المسلم وغير المسلم، العالم والمتعلم، من خلال هذا الزخم الفكري والتراث العلمي الذي أفرزته الحركة العلمية في المساجد في العالم الإسلامي، حيث كان يؤمها طلاب العلم من كل مكان، ويجاورون في رحابها؛ لتحصيل العلم، ويعيشون من نفقات الوقف التي لم تكن تغطي المأكل والمشرب والملبس فقط، بل كافة الاحتياجات سيما العلمية.

ويطيب لي في هذا الصدد أن أذكر بعض النماذج التاريخية لدور الوقف في دعم الثقافة من خلال المساجد، وبيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: العراق .. مسجد البصرة:

«يعد مسجد البصرة أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات الإسلامية سنة (١٤هـ) حيث قام هذا المسجد بدور بارز في النهضة العلمية والأدبية في العصر الأموي، ففيه جلس الكثير من الفقهاء والأدباء، يلقون دروسهم، ومن أشهرهم الإمام الحسن البصري، كما كان

الشعراء والأدباء يتخذون من هذا المسجد مركزًا لرواية الشعر والأدب»[1].

«وقد أصبح هذا المسجد مركزًا كبيرًا من مراكز الفقه، كما ظهرت في هذا المسجد مدرسة للتفسير.

ثانيًا: الشام: المسجد الأقصى:

«المسجد الأقصى وقد كان له الدور الريادي في جوانب متعددة من الحياة، إذ أصبح في يوم من الأيام بمثابة جامعة إسلامية ، لقد كان المسجد الأقصى بما قام فيه وفي ساحاته وما حوله من مؤسسات علمية ومدارس، ودور قرآن ودور حديث، وزوايا، كل ذلك كان بمثابة معاهد علمية تدرس فيها العلوم الشرعية والعربية والتاريخ.

الجامع الأموي في دمشق:

أنشأ هذا الجامع الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٨-٩٦هـ وصار مركزًا مهمًّا من مراكز الثقافة في العالم الإسلامي حيث كان يؤمه العلماء والطلاب وبه مساكن للطلبة الغرباء .

قال ابن جبير عن هذا الجامع: (وفي هذا الجامع المبارك، مجتمع عظيم كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن ، ومثله إثر صلاة العصر ، وفيه حلقات التدريس)[2].

(١) انظر : محاضرات الأدباء، الأصبهاني ١/ ٢٠ .
(٢) رحلة ابن جبير ٢٤٤ – ٢٤٥ .

وقد اكتظ الجامع الأموي بالعلماء وطلاب العلم، وكان فيه حلقات التدريس في عدد من العلوم الشرعية واللغوية وكان لكل علم من العلوم عدة خزائن للكتب خاصة به في الجامع الأموي، وذلك من خلال الأوقاف الخاصة بأهل الحديث مثلًا، «إن هذا المسجد كان معمورًا بالناس طول النهار وطرفي الليل، وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء ومشايخ العلم والإقراء، وقل أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مُصل، أو مكرر في كتاب علم، أو سائل دين»[(١)].

وقد درس في هذا الجامع عدد كبير من أبناء المسلمين، وأبناء أوروبا، وكثير من علماء الدولة البيزنطية، كانوا تلاميذًا لشيوخ جامع دمشق الأموي.

ومن أبرز العلماء الذين درسوا في هذا الجامع: الخطيب البغدادي، حيث درس فيه الحديث. والغزالي الذي أكمل كتابة إحياء علوم الدين، في هذا الجامع[(٢)].

ثالثًا: من مساجد مصر:

جامع عمرو بن العاص الذي بناه عام ٢١هـ، وسمى باسمه،

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢) الجامع الأموي في دمشق، الشيخ علي الطنطاوي ص ٢١، ط / ٢ دار الفكر، دمشق: ١٢٨٠هـ / ١٩٦١م .

وكان يسمى بالمسجد العتيق، ويعد هذا الجامع معهدًا علميًا كبيرًا، حيث تم من خلال هذا الجامع نشر مبادئ الإسلام وتعاليمه القويمة .

ومن أشهر العلماء الذين أفادوا العالم الإسلامي بعلمهم وتأليفهم: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي يعتبر بحق أول من جلس للتدريس في هذا المسجد، فكان يدرس طلبة الحديث، ومما اشتهر بالتدريس في هذا المسجد الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ حيث قدم إلى مصر عام ١٩٩هـ أو ٢٠١هـ، وذاعت شهرته وألف كتابه الأم في هذا المسجد، وكان يدرس الحديث والفقه واللغة العربية ، قال ابن بطوطة: (وبشرق المسجد تقع الزاوية، حيث كان يدرس الإمام الشافعي ، وبقى على الدرس حتى مرضه الأخير ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ)[١] .

«ودرس في هذا الجامع كبار العلماء والمفسرين مثل : الإمام محمد بن جرير الطبري ، وهو المفسر والمحدث والفقيه والمؤرخ ، ودُرست في هذا الجامع العلوم الإسلامية والعربية ، كما لم يقتصر التدريس على الرجال فقط، بل كانت هناك حلقات تدريس مستقلة للنساء، كما درست في هذا الجامع بعض العلوم التطبيقية مثل: الطب، الفلك، الرياضة، الهندسة.

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٣٧، بدون رقم طبع، دار التراث العربي، بيروت : ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

رابعًا: جامع ابن طولون:

بدأ أحمد بن طولون بناء هذا الجامع عام ٢٦٣هـ، وانتهى منه عام ٢٦٥هـ، وروي السيوطي أن دروسًا مختلفة رتبت في الجامع الطولوني، إذ شملت التفسير، والحديث، والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات والطب، وقد جعل ابن طولون في مؤخرة المسجد دار شفاء ألحق بها صيدلية أعد فيها من الأدوية وأنواع الشراب ما يلزم الإسعاف[1].

خامسًا: الجامع الأزهر:

«بدأ بناء الجامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ، وقد بناه جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ، ويعد الأزهر منارة للعلم والمعرفة والثقافة في مشارق الأرض ومغاربها، حيث اضطلع الأزهر بدور تاريخي في نشر العلم والثقافة وتعليم أبناء المسلمين، وانتشر علماؤه في أنحاء العالم يحملون رسالة الإسلام إلى كافة الشعوب، وقد كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة أعمدة معينة، لا يجلس للتدريس بجانبها غيرهم، وكان الطالب حرًا في اختيار أستاذه، واختيار الحلقة التي يريدها.

ودرس في الأزهر فطاحل وعمالقة العلماء في كل فن، وكان من

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الإمام جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/ ١٨٣، ط/ ١ مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

أشهر هؤلاء ابن خلدون كما جلس للتدريس بهذا الجامع كل من السيوطي، والمقريزي، والقلقشندي.

وزادت أهمية الأزهر في القرن التاسع الهجري ، حيث حفلت مصر بجمهرة من أعظم العلماء والكتاب، من أمثال: الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وابن تغري بردي، صاحب النجوم الزاهرة، والسخاوي، صاحب الضوء اللامع، وجلال الدين السيوطي، صاحب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة[(١)]. وغيرهم من العلماء الأفذاذ ....

إن من أهم المجالات التي اهتم بها الوقف الإسلامي وقام بتمويلها: المساجد، وكل ما يتعلق بشؤونها من الإنشاء والإعمار والفرش والإنارة والأثاث والإنفاق على الأئمة والمؤذنين والعلماء، الذين كانوا يدرسون في تلك المساجد وطلاب العلم ، ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وكسوتهم وغير ذلك ، مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والثقافية في العالم الإسلامي .

لقد عظمت أوقاف المساجد، وبلغت من ضخامتها أن خصص لها ديوان ، أطلق عليه ديوان أحباس المساجد، وظلت مهمة المسجد ورسالته هي : العبادة والتعليم والدراسة ، وكان للمسجد دور في القضاء على الأمية الثقافية الإسلامية ، فكان المسجد منارة سامقة

(١) الخطط المقريزية ٣/ ١٦٣ .

للعلم والمعرفة والثقافة. منارة للإرشاد والتوجيه، وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى رجال ذوي علم وثقافة، وفقه عميق لتعاليم الإسلام، ومنهجه في تأليف القلوب، فإن المسجد كان الموئل الذي يلجأ إليه كل من يريد أن يتفقه في الدين، وكانت حلقات العلم في المساجد في كل مكان من البلاد الإسلامية بمثابة لقاءات علمية مفتوحة، تيسر لكل راغب في العلم أن ينهل منها كما يشاء، ولولا المسجد وما حُبس عليه من أموال ما كان للعلماء أن ينهضوا برسالتهم في استقلالية عن هيمنة الدول الأمر الذي جعلهم سلاطين الأمة ، وقواد مسيرة الحضارة.

إن الدور الحضاري الذي قامت به المساجد عبر تاريخها ، يعكس العقلية العلمية التي تمتع بها العلماء حيث لم تكن المساجد مقصورة على مجرد أداء الصلوات الخمس، أو بعض حلقات تحفيظ القرآن إن وجدت، وإنما كان المسجد بمثابة الجامعة التي تشتمل على كليات وأقسام علمية متنوعة؛ لتلبية الميول المعرفية لطلاب العلم؛ فأدى ذلك إلى ظهور المواهب والنبوغ العلمي من خلال أجواء الحرية والبحث والتحليل والنقد، فلم تستغل المساجد آنذاك لإظلام العقول والمصادرة عليها من خلال حرفية وشكلية الفهم، أو أحادية المصادر أو المذهب وغير ذلك مما يرسخ لرفض التعددية، ويصادر على الآخرين وينكر عليهم اختياراتهم. إن من أسباب ظهور الجمود

والتعصب والغلو والتطرف غياب الدور العلمي للمساجد وللعلماء الراسخين المستنيرين، فتمت عملية اختطاف العقول وخاصة عقول الشباب، وتلك الفئات التي تعيش في القرن الحادي والعشرين إلا أن عقولها خارج نطاق الزمان والمكان وترفض الآخر كل ذلك بسبب الانغلاق وعدم فهم الإسلام كما ينبغي أن يُفهم ، فكان من آثار ذلك الانكفاء على الذات والتمترس خلف آراء مدرسة معينة أو فكر معين لا يؤمن بالتعددية، ولا يعترف بسنة الاختلاف أو كيف ومتى نختلف ؟ كل ذلك وغيره مما يحتاج إلى القراءة والمعرفة والموضوعية والتجرد وغير ذلك مما تعلمه المسلمون في المساجد وأجوائها العلمية .

إن من عظمة الإسلام أنه يحترم إنسانية الإنسان بكل تجلياتها .



رؤية الإسلام في المحافظة على المجتمع من الجريمة

إن من يتابع نبض الحياة في المجتمع يقف على أمر يبعث على الفزع وينذر بالخطر حيث تدنت أخلاق فئات من الناس، فظهرت سلوكيات منحرفة ومرفوضة اجتماعيًا، يتبدى ذلك في تعامل الناس في الشوارع والمواصلات وعدد من مجالات الحياة التي تكشف عن ضعف الضمير وعدم الخوف من الله، وحالة من الاضطراب في السلوك، كل ذلك وغيره يجعلنا بحاجة إلى التعرف على رؤية الإسلام في المحافظة على المجتمع وحمايته من الجريمة التي أصبحت تهدد أمن واستقرار الإنسان، ونود أن نؤكد في البداية على أن المجتمع في الإسلام مجتمع معنوي، أي: إن العلاقات الاجتماعية فيه تبنى على الروابط الأدبية من تواد وتراحم لا على أساس من العلاقات المادية فقط، ولذا يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)] ولا شك أن العلاقات المعنوية التي تقوم على المودة والرحمة هي التي يرتفع عليها بنيان المجتمعات الإنسانية، وهي الروابط التي تربط آحاد الناس ببعضهم، ومثل المجتمع المادي الذي يُبنى على الاقتصاد

(١) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤٦٩١) .

أو على الاجتماع كمثل الأحجار المتراصة التي يجاور بعضها بعضًا من غير ارتباط وثيق بين أجزائها.

ولذلك كان كل نظام وضعه الإسلام بالقرآن أو السنة النبوية، الأساس فيه يقوم على التوجيه الديني الذي يغذي نفوس الآحاد لتجتمع، ونفوس الناس لتأتلف؛ وليكونوا في كل تصرفاتهم ملاحظين المعاني الإنسانية مع كل إنسان من غير نظر إلى اختلاف الأجناس والشعوب والقبائل والألوان .

إن التربية الروحية تقوم على تربية الضمير؛ ليكون صاحبه مؤتلفًا مع المجتمع ملتقيًا معه يؤثره على نفسه، ولو كانت به خصاصة ويحب الناس لله ويكون مستجيبًا لقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)] .

وإن ذلك المجتمع الفاضل لابد له من تربية الضمير لحمايته من الانحرافات؛ ولذا كان من فلسفة العبادة في الإسلام تربية الضمير الإنساني ليأتلف المؤمن مع غيره، ويرتبط به ارتباطا روحيًا، وقد روي أن النبي ﷺ قال : «المؤمن مألفة، فلا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[(٢)]

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣) .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٧/ ٤٩٢، المعجم الكبير للطبراني ٦ / ١٣١ .

فما كانت العبادات لحاجة الله تعالى إليها، ولا لمجرد التقرب إليه سبحانه، حتى يكون ذات التقرب ولو بظاهر من القول غرضًا مقصودًا، إنما كانت العبادات لتربية الضمير الديني اللوام عند مقارفة معصية أو مقاربتها .

فالصلاة لا تكون محمودة إلا إذا هذبت النفس الإنسانية وطهرتها، ونقت الضمير من أدران الحقد والحسد والإيذاء، وجعلت صاحبها ربانيًا لا يعمل إلا لله ـ تعالى ـ، ويحب خلق الله ـ تعالى ـ فلا يبغض ولا يحسد ويعمل لإصلاح الناس .

إن العبادات في الإسلام ليست غايتها مجرد التقوى، بل إن العبادات في الإسلام تتجه إلى النفع الإنساني في العالم، وإلى إيجاد مجتمع متحاب غير متباغض ولا متنازع، وإنها إذا لم تؤد إلى تلك الغاية العالية لا تكون عبادة محسوبة لصاحبها مرضية من الله ـ تعالى ـ، بل تكون محسوبة عليه، ولا تنتج خيرًا له بل تنتج وبالًا عليه؛ لأنه لم يخلص النية لله ـ تعالى ـ، وأمارة الإخلاص لله فيها أن تكون مطهرة لقلبه قاضية على الشر فيه مؤلفة بينه وبين الناس .

إن العبادات غذاء الأرواح، وبها يتقوى الضمير الاجتماعي ويعلو، ولكنه يكون كالبذرة الصالحة لا تحيا حياة طيبة إلا في تربة تغذيها وفي جو ينميها، فإن لم يكن واحد من هذين الأمرين ذبلت ولا

تنبت نباتًا حسنًا، والجو الصالح لتنمية ما تبذره العبادة في النفس والتربة الصالحة للإنبات بالنسبة للضمير هو الرأي العام الفاضل، فإذا كان الرأي العام ليس فاضلًا لا يكون للوجدان الديني الذي تربيه العبادة ثمرته الطيبة، وإذا كانت العبادات تغذي الرأي العام بآحاد تربت وجداناتهم، فإن الرأي العام هو الذي يحمي أصحاب الوجدان الطيب من الأشرار؛ لأنه لا يمكن أن يكون الناس جميعًا أخيارًا، فإن ذلك مجافاة للفطرة الإنسانية التي خلق الله تعالى الناس عليها .

فالرأي العام يقوي الوجدان الفاضل، ويوجد رقابة نفسية ورقابة تجعل كل شرير ينطوي على نفسه فلا يظهر شره، وكل خير يجد الشجاعة فيظهر، وإنه لا ينمي تهذيب الآحاد إلا رأي عام فاضل يعمل على نصرة الفضيلة وإخفاء الرذائل حتى تذبل في مكانها، ولا يفسد المجتمع إلا الرأي العام الفاسد الذي يتقاصر عن حماية الفضيلة ويترك الرذائل رافعة رأسها .

ولذلك عمل الإسلام على تكوين رأي فاضل يقوم المعوج ويسير المجتمع في خط مستقيم لا عوج فيه[1] .



(١) دراسات إسلامية في الأسرة والمجتمع، الشيخ / محمد أبو زهرة ٨٨- ٩٨ .

استراتيجية الأزهر الشريف في مواجهة الفكر المتطرف(*)

السيد رئيس مجلس الأمن

السيدات والسادة ممثلي الدول الأعضاء في مجلس الأمن

السيد ممثل الأمين العام للأمم المتحدة

السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فإن العالم يعيش اليوم حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب أحداث العنف المتلاحقة وموجات الغلو والتطرف التي ألقت بظلالها على كثير من الدول خاصة في العالم العربي والإسلامي فهددت أمنه واستقراره، فانتشرت الفتن واستفحل القتل؛ فأدى ذلك إلى تدمير العمران والأوطان في وحشية لم يعرفها التاريخ من قبل، حيث تجاوزت الأمور كل الحدود التي وضعتها الأديان والأخلاق والأعراف الإنسانية.

ومن المؤلم غاية الألم أن ترتكب هذه الجرائم باسم الإسلام،

(*) كلمة ألقيتها في مجلس الأمن وكنتُ ممثلًا للأزهر في مجلس الأمن، عن استراتيجية الأزهر الشريف في مواجهة الفكر المتطرف بتاريخ ١١/ ٥/ ٢٠١٦م في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وترأس الجلسة السيد/ سامح شكري - وزير الخارجية المصري، حيث كانت مصر تترأس لجنة مكافحة الإرهاب بمجلس الأمن.

الأمر الذي تم استغلاله إعلاميًا أسوأ استغلال في تشويه صورة الإسلام، وتقديمه للعالم بحسبانه دينًا همجيًا متعطشًا لسفك الدماء وقتل الأبرياء.

وفي الحقيقة أننا لسنا بحاجة إلى الدفاع والرد وبيان أنه لا صلة لهذه الأعمال بالإسلام ولا بالأديان السماوية.

فمن المعلوم أن الأديان السماوية ما نزلت إلا لترسم للإنسان طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتعلمه قيم الرحمة والحق والخير، وأن الله كرّمه على سائر الكائنات الأخرى، وحرّم دمه وماله وعرضه، وإذا سمعتم أو قرأتم أن دينًا من الأديان السماوية سمح بإراقة الدماء واغتيال الحقوق فاعلموا أن ها هنا تدليسًا في تصوير حقيقة هذا الدين.

كما أننا نؤمن بأن الإسلام ليس دينًا منفصلًا عن الأديان السماوية السابقة عليه كالمسيحية واليهودية والإبراهيمية وغيرها.

بل يحدثنا القرآن بأن ما شرعه الله من الدين لمحمد ﷺ هو نفس ما شرعه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعًا ـ أفضل الصلاة والسلام ـ، وهذا ما يفسر لنا انفتاح الإسلام على الأديان السماوية السابقة عليه، وتأكيده على مبدأ الحرية في قول الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:٢٥٦].

وحديث محمد ﷺ «مَنْ كَرِهَ الإِسْلامَ مِنْ يَهُودِيٍّ ونَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ»(١).

ويقرر القرآن أن الله ـ سبحانه ـ ما أرسل محمدًا ﷺ إلا رحمة للعالمين، وكلمة العالمين أوسع بكثير من كلمة المسلمين، بل هي في الفلسفة الإسلامية أعمّ من عالم الإنسان، حيث تشمَل عالم الحيوان والنبات والجماد، جاء في القرآن خطابًا لمحمد ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال محمد ﷺ مخاطبًا الناس جميعًا: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»(٢).

هذا النبي الرحيم بالحيوان أخبرنا أن امرأة دخلت النار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وأخبر أن رجلًا سقى كلبًا في يوم حر شديد؛ فغفر الله له وأدخله الجنة.

فإذا كان من تعاليم الإسلام الرحمة بالحيوان والعطف عليه، فإن الرحمة بالإنسان مما أكد عليه الإسلام؛ لأن تكريم الإنسان في الإسلام لإنسانيته دون النظر إلى دينه أو مذهبه أو لونه أو جنسيته.

إن الإسلام يقرر ويؤكد على الرحمة والمحبة بين الناس، ويرفض كل قول أو فعل يتنافى مع ذلك، وأن كل ما يهدد سلم وسلامة

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب: أهل الكتاب، باب: الجزية، ح٩٨٦٤.
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة.

الإنسـان والأوطـان لا يتفـق مـع مـا جـاء بـه الإسـلام وجميـع الأديـان السماوية.

السيدات والسادة:

لقـد عمـل الأزهـر الشـريف علـى المواجهـة الفكريـة لتلـك الجماعات التي تمارس العنف والقتل وتهدد السلم في المجتمعات؛ لأن الفكر لا يواجه إلا بالفكر، وبين ارتباط تلك الجماعات بتاريخ فرقة الخوارج وظهورها المبكر في صدر الإسلام، نتيجة ما أصابهم من انحراف في التصور العقدي والفقهي لدي هذه الفرقة، ولكن بعد اندثار فرقة الخوارج والفرق الباطنية الأخرى التي أصبحت في ذمة التاريخ، عادت ظاهرة التكفير الجديدة على أيدي شباب لم يكن لديهم من المؤهلات العلمية والثقافية لمعرفة الإسلام إلا الحماس وردود الأفعال الطائشة الحادة، فكان التكفير هو الصيغة المثلي والأسرع للتعبير عن واقعهم المرير، ومن هنا لم تكن أحكامهم أو تصوراتهم نابعة من فقه سديدٍ أو فكر رشيدٍ، وإنما جاءت انعكاسًا لواقع حافل بالقهر والضغوط، وظهرت مفاهيم ونظريات منحرفة عن صحيح الدين، وازداد الخطر عندما قام المنظرون لتلك التيارات بالاستدلال بالنصوص الشرعية في غير موضعها فظهر فكر التكفير، وقامت التنظيمات المتطرفة بتطبيق ذلك واستقطاب الشباب وتجنيدهم عبر

المواقع الالكترونية، وتم طرح مفاهيم وقضايا مثل: التكفير، وقضية الحاكمية، وقضية الجاهلية وحتمية الصدام، ومفهوم الجهاد، ومفهوم الخلافة، والدولة الإسلامية، ومفهوم التمكين، ودار الإسلام ودار الحرب، وتعد هذه الأمور من المشتركات بين التنظيمات الإرهابية مثل داعش وغيرها التي انطلقت من فكر أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، وغير ذلك من الفكر المتشدد والمتعصب؛ لأنه لا ينبغي أن نتعامل مع مظاهر العنف ونترك أسبابه؛ لأن علاج الأسباب مهم للغاية.

إن مشكلة التكفيريين أنهم لا يملكون العقل المتفتح والثقافة العميقة الواسعة في أصول العقيدة والتشريع، فالتكفير ينم عن ذهنية الانغلاق، ولا يعبر عن أصالة ووعي بحقيقة الدين وتعاليمه.

إنه إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي أو التكفير أو التهديد بالعنف، فإنه يتحول إلى إرهاب، فالتطرف دائمًا في دائرة الفكر، أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح، أو تشكيل التنظيمات الإرهابية المسلحة (التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب).

السيدات والسادة:

إن الأزهر الشريف يبذل جهودًا علمية متميزة في مجالات التعليم

وبيان المفاهيم الحقيقية للإسلام وذلك من خلال ما يقدمه سنويًا من المنح الدراسية لعدد كبير من الدارسين والدارسات في معاهد وكليات الأزهر الشريف، حيث بلغ عدد من يدرسون في الأزهر (٤٠,٠٠٠) طالب وطالبة، وبلغ عدد جنسيات هؤلاء (١٣٠) دولة من أنحاء العالم.

وانطلاقًا من الدور العالمي للأزهر الشريف في نشر التعاليم السمحة للإسلام بعيدًا عن الغلو والتطرف فإنه يقوم بتنفيذ برامج تدريبية لأعداد كبيرة من الدعاة والخطباء من مختلف أنحاء العالم، حيث تم عقد دورات علمية كبيرة للعديد من الدعاة من مختلف أنحاء العالم مثل:

- الولايات المتحدة الأمريكية.
- بريطانيا.
- الصين – كولومبيا – شيلي – الأرجنتين.
- باكستان.
- أفغانستان.
- كردستان العراق.
- إندونيسيا.
- نيجيريا.

- الصومال.

ويعمل الأزهر من خلال تلك الدورات على ترسيخ مفاهيم الوسطية والسماحة، والتعايش السلمي والاعتدال، وقبول الآخر، والحوار، ونبذ العنف والتطرف والغلو، واحترام قوانين الدول، وحرية العقيدة والتعددية الدينية والثقافية وغير ذلك من القضايا التي ترسخ للسلم والتعايش بين الشعوب في مواجهة الأفكار التي تقوم التنظيمات الإرهابية بتسويقها.

ويعمل الأزهر الشريف على المستوى الإقليمي على التواصل بين المرجعيات الشيعية والمرجعيات السنية في العراق وسوريا واليمن لمواجهة الاستخدام السياسي للصراع المذهبي وما يحدث في المنطقة وبيان حرمة الدماء وأهمية احترام إنسانية الإنسان لوقف تمدد داعش وغيرها من المليشيات التي تستغل الاختلاف المذهبي بين السنة والشيعة لتوسيع رقعة الحروب.

كما يعمل الأزهر الشريف على المستوى العالمي من خلال مجلس حكماء المسلمين الذي يترأسه شيخ الأزهر ويضم أعضاء من مختلف دول العالم الإسلامي، على نشر السلام العالمي، وقد قام المجلس بالتعاون مع الأزهر الشريف بإطلاق قوافل السلام إلى خمس عشرة (١٥) دولة من دول العالم مثل: الولايات المتحدة

الأمريكية، بريطانيا، إسبانيا، إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، جنوب أفريقيا، أفريقيا الوسطي، باكستان؛ لبيان المعالم الحقيقة للإسلام ونشر قيم السماحة والتعايش السلمي بين الشعوب.

وقام الأزهر الشريف بإنشاء مرصد عالمي إلكتروني لرصد ما يصدر عن تنظيم داعش في مواقع التواصل الاجتماعي حيث تتم مناقشة الأفكار المتطرفة والرد على فتاوى وآراء داعش بعدد من اللغات الحية مثل: الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، الإسبانية، الصينية، لتحذير الشباب من خطر الفكر الداعشي وتحصينهم من أن يكونوا ضحايا لهذا التنظيم.

ويطالب شيخ الأزهر الشريف الوفود الغربية والأوروبية ممن يأتون إلى مشيخة الأزهر لزيارته أن يراقبوا المراكز الإسلامية في بلادهم والعاملين فيها بما لا يتعارض مع الحريات الشخصية والعامة؛ لأجل ضمان سلامة الفكر الذي يتم تناوله، وإبعاد العناصر المتشددة والمتطرفة عن مجال الدعوة، حتى لا تتم عملية تشويه الإسلام.

ويرى الأزهر أن مواجهة داعش وغيرها من التنظيمات الإرهابية في العالم تتطلب عددًا من الأمور من أهمها:

- الاهتمام بمناقشة الأفكار المتطرفة، والرد عليها، وتحذير الشباب وذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي والتعاون الدولي في

مواجهة تفوق تلك التنظيمات في استخدام الفضاء الإلكتروني في تسويق الإرهاب.

- إعادة الاعتبار للقيم الإنسانية المشتركة بين الأديان والانفتاح عليها.

- عدم الربط بين سلوكيات التنظيمات الإرهابية والدين.

- تفعيل دور القادة الدينيين والحوار بينهم، والعمل على ترسيخ مفاهيم السلام والتعايش بين الشعوب.

- التركيز على دور الشباب ودعمهم في المجتمعات المختلفة، وتوفير فرص العمل لهم؛ لإثبات ذاتهم، وحماية لهم من الفكر المتطرف.

- دعم دور المرأة، واحترام قدراتها، وإشراكها في المواجهة وتفعيل دور الأسرة؛ لأن تقوية الجبهات الداخلية في المجتمعات ضمانة أساسية في مواجهة الإرهاب وتنظيماته المختلفة.

- تحقيق العدالة بين الشعوب، وعدم التفرقة واحترام خصوصيات المجتمعات.

- التركيز على التعليم ومناهجه التي ينبغي أن ترسخ لمفاهيم التعايش السلمي واحترام الآخر والمواطنة العالمية وقبول التعددية الدينية والثقافية؛ لأن الأمية والجهل تشكل خطرًا كبيرًا على العقول.

- مساهمة أصحاب القرار والساسة في المجتمع الدولي في المواجهة الحقيقة للإرهاب الذي بات يهدد الأمن والاستقرار العالمي، وتعاظم خطره في السنوات الأخيرة.

إننا نتمنى عالمًا ينعم بالأمن والاستقرار والتعايش السلمي ويحترم إنسانية الإنسان.



مشكلة الغش بين غياب القدوة وأزمة الضمير

الغش في جميع صوره سلوك مرفوض؛ لأنه يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، وإن تفشى هذا الأمر بين الطلاب والطالبات في المراحل الدراسية المختلفة خاصة الشهادات الثانوية ينذر بالخطر، لاسيما بعد أن تم استخدام الفضاء الالكتروني في تسويق الغش في امتحانات الشهادات الثانوية، وما شهدته هذه الامتحانات من عمليات تسريب أو تمرير الأسئلة أو غير ذلك من المصطلحات التي ظهرت من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أمر خطير للغاية، وما صاحب ذلك من قيام شريحة من أولياء الأمور سواء على مستوى الآباء أو الأمهات بمساعدة أبنائهم أو حثهم وإن شئت فقل دفعهم إلى الغش من خلال وسائل وأساليب يمثل تحديا كبيرًا لنظم المراقبة التقليدية، مما يجعلنا نتساءل عن بعض الأمور من أبرزها ما يلي :

- ما الأسباب التي دفعت تلك الفئة من أولياء الأمور لإجراء عملية جراحية لأبنائهم لإدخال سماعة دقيقة في الأذن قد تتكلف مبلغًا ماليًا غير قليل، أو ما الدافع لشراء وسائل تعين على الغش ؟

- ما سبب إقدام تلك الأُسر على ذلك؟ هل الحصول على مجموع يؤهل للالتحاق بكليات القمة كما يقال؟ ليتخرج الابن أو البنت طبيبًا أو طبيبة أو مهندسًا أو مهندسة .. إلخ.

- وماذا سيُقدم من تخرج عبر هذا المسار من الغش والخداع لمجتمعه أو لمن سيتعامل معهم .

- وما صورة هؤلاء الآباء والأمهات في عيون هؤلاء الأبناء بعد تجاوزهم تلك المراحل ؟

- وكيف سيُربي هذا الإبن أو هذه البنت أبناءهم بعد ذلك ؟

- وهل يؤتمن هؤلاء على من يتعاملون معهم سواء في المستشفيات أو المدارس أو الجامعات أو غير ذلك من مجالات حياة؟

إن هؤلاء كانوا حصادًا لسلسلة طويلة من صور خيانة الأمانات؛ لأن الأُسر التي نشأوا فيها خانت الأمانة فيهم؛ لأنه لا يمكن قبول الغش تحت أي مسمى، أو من خلال التذرع بأسباب قد يعتبرها البعض مقبولة جريًا على المنطق الميكافيلي: «الغاية تبرر الوسيلة».

إن الحرام لا يكون وسيلة إلى المقاصد النبيلة، والغاية الجليلة، والفاسد لا يؤدي إلا إلى فساد والحرام لا ينتج إلا سوء وضررًا[١].

إن هؤلاء ينشدون التفوق والتقدم لأبنائهم عبر مسارات ملتوية ومشينة.

(١) الإمام الجويني إمام الحرمين، د. محمد الزحيلي، ٥١ - ٥٢ .

وكيف يتأتى التقدم إذا كان أساسه مفقودًا، إن الإنسان هو ركيزة النهوض وهو الذي يحتاج إلى بناء وتأسيس حقيقي يقوم على القيم والمثل العليا؛ لأنه إذا وجد الإنسان السوي، تيسرت مقومات التفوق والإبداع؛ لأن الإنسان لا تتم صناعته بالغش ولا يستورد، وماذا نستفيد إذا خسرناه؟

إن المشكلة اليوم ليست في عدم وجود العلاج ، وإنما هي في عدم وجود المعالج حتى غدا من يفترض أن يكون معالجًا يحتاج إلى علاج!!

إنه مع غياب القدوة وضعف الإيمان يستعصى العلاج .

إن مصائبنا من عند أنفسنا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد:١١].

إن عملية الاستيراد للآلة والفني والعامل ، لن تدفع بنا إلى التقدم؛ لأن ذلك يكرس لثقافة الاستهلاك طالما أن الإنسان رضي بدور المستهلك لا المنتج، وقد لا نستغرب كثيرًا عندما نرى الإنسان في عالمنا الإسلامي يبحث في محلات بيع الساعات ليشترى أغلى الماركات العالمية ويدفع الأثمان الباهظة للحصول على تلك الساعة المتميزة المنضبطة ، وبعد ذلك نجد وقته كله يضيع دون فائدة ، حيث

لا قيمة له، إنه اكتفى بالساعة التي تضبط الوقت وافتقد الإحساس بقيمته .

إننا نواجه مشاكلنا بمنطق الأشياء، لا بمنطق الأفكار وهذا خطأ جسيم، إن الغش في الامتحانات لن يخرج عالمًا؟

إن التعليم عندنا يتمحور حول التلقين والحفظ وشحذ الذاكرة بعيدًا عن التفكر والمقارنة وتنمية الفكر، إن ذلك يعني التوقف عند أولى مراتب العقل ويعني الطرد لأصحاب التفكير والإبداع، وسوف يبقي هذا النوع من التعليم خارج الحياة، ويتحول من حل إلى مشكلة، وسيكون مناخًا مناسبًا لاستنبات أفكار الغش ووسائله، وهذا ما يهيئ الفرص أمام العجزة والفاشلين للقفز على جهود الشرفاء والكادحين من الطلاب والطالبات وأسرهم التي تشقى في تعليمهم وتقتطع من أقواتها لتوفير احتياجاتهم الدراسية؛ لأن المقررات الدراسية والأسئلة في الامتحانات لا تعطي الفرصة كاملة للإبداع والتعبير عن القدرات العلمية مما يسمح بقبول النقل الحرفي للمعلومات من خلال الغش .

ولا شك أن ذلك يثير الأحقاد في المجتمع وهذا ما يسعى من يكيدون للوطن، ومن لا يعترفون بأسس وحقوق وواجبات المواطنة مما دفعهم إلى إنشاء مواقع الكترونية لتسهيل وتمرير الغش، وهي

خيانة عظمى للدين والوطن. إن رسولنا الكريم قال: «من غشنا فليس منا»[١].

إنها أزمة الضمير التي جلبت كثيرًا من المصائب، إن الإسلام اهتم بالضمير اهتمامًا كبيرًا.

وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث: «عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الْأَسَدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِوَابِصَةَ جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ، فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ، وَقَالَ: اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ. ثَلَاثًا، الْبِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»[٢].

عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت مع عبد الله بن عمر في بعض نواحي المدينة ومعنا أصحاب لهم فوضعوا سفرة لهم، فمر بهم راع، فقال له عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هلم يا راع إلى هذه السفرة، فقال : إني صائم، فقال له عبد الله في مثل هذا اليوم الشديد ؟ أي تلبث في هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى وأنت صائم، فقال له الراعي: أبادر في أيامي

(١) صحيح مسلم «كتاب الإيمان» باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا» رقم ١٤٩.
(٢) سنن الدارمي «كتاب البيوع» باب (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). رقم ٢٥٧٥، مسند أحمد ـ ج٢٩، ص ٢٧٨، رقم ١٧٧٤٢.

الخالية أي: أبادر عملي الصالح في أيامي الخالية فتعجب ابن عمر وقال له: هل لك أن تبيعنا شاه نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها ؟ فقال الراعي : إنها ليست لي إنها لمولاي، قال مما عسى أن يقول لك مولاك إن قلت : أكلها الذئب، فمضى الراعي وهو رافع أصبعه إلى السماء وهو يقول : فأين الله ؟

قال فلم يزل ابن عمر يقول : قول الراعي : فأين الله .

فما أن قدم المدينة بعث إلى سيده واشترى منه الراعي والغنم .

فأعتق الراعي ووهب له الغنم[1] .

إن الشواهد في القصة كثيرة فما أحوج الإنسان إلى أن يقول: (أين الله؟)، فالله سبحانه مطلع وقادر، وسيسأل المرء عن كل ما قدّم .

إن رسول الله ﷺ حثنا على استشعار المسؤولية واليقظة والحذر فقال النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ

(١) شعب الإيمان للبيهقي. الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو بَابٌ فِي الْأَمَانَاتِ ... رقم ٤٨٩٠ .

فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[1].

وقد أكد القرآن الكريم على ذلك قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء:١٣ ١٤].

ولذا فإن الضمير الحي هو صمام الأمان في حياة الفرد والمجتمع، وإن المجتمعات لا ترقى إلا من خلال عطاء وجهود أصحاب الضمائر الحية الذين يجسدون تعاليم الإسلام من خلال الإخلاص والأمانة والالتزام بالقيم الأخلاقية النبيلة.



(١) سنن الترمذي كِتَاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ...» بَاب مَا جَاءَ فِي الْقِيَامَةِ وَشَأْنِ الْحِسَابِ رقم ٢٣٥٣.

قيمة المساواة وأثرها في استقرار المجتمع

لا شك أن المساواة من القيم الإنسانية العليا التي أقرها الإسلام بين الناس، وهي أهم دعامة تقوم عليها العلاقات الاجتماعية.

والإسلام لا يقف في دعوته إلى قيمة المساواة بين الناس عند حد باعتبارها أهم دعامة في تحديد مسار علاقات المسلمين مع غيرهم، وإنما يعتبر المساواة من مقتضيات وحدة الإنسانية التي أكد عليها، فإذا كانت البشرية مشتركة في وحدة الأصل فإن من مستلزمات هذه الوحدة المساواة في كل الخصائص البشرية .

فالناس متساوون من حيث النشأة والأصل قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحجرات:١٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[النساء:١]، فلا فرق بينهم ولا تمييز، فالخالق واحد والأب واحد والأم واحدة .

والناس تحكمهم المساواة في الحقوق والتكليف والجزاء، ومن ثم فإن الإسلام يؤكد على ضرورة مراعاة ذلك بين البشر جميعًا، دون تمييز أو تفريق بين طائفة أو أخرى أو بين فرد أو أخر، استنادًا إلى أي معيار من المعايير، أو الأسس الخارجة عن إرادة البشر، كالنوع (ذكر

وأنثى)، أو اللون (أبيض وأسود وأحمر) أو اللغة (عربي، أعجمي)، وتنهي آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية نهيًا صريحًا وقاطعًا عن أن يكون اختلاف الأجناس وتفضيل العناصر أو الألوان أو الألسنة مدعاة لأي تمييز بين طوائف البشر، وتفضيل طائفة على أخرى استنادًا إلى أيٍ من هذه المعايير .

إن إقرار القرآن لمبدأ المساواة بهذه الصورة إلغاء لكل عوامل التفرقة بين الناس، فاللون والجنس والمعتقد والحظوة الاجتماعية لا مكان لها في منطق القرآن، ولا تؤثر في إنسانية الإنسان، لهذا يعد مبدأ المساواة من أهم المبادئ القرآنية التي تقوم عليها النظرية الإسلامية في مجال العلاقة مع الآخر، فبموجب هذا المبدأ يلتزم المسلم بضوابط وقيم القرآن والسنة في تعامله مع غيره من اتباع الأديان الأخرى، فلا يحقره ولا يعتدي عليه في ماله أو بدنه أو عرضه، ولا يظلمه. قال ﷺ «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقًا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه: (خصمه) يوم القيامة»[1] .

ومن هنا فإن الإسلام يرفض جميع السلوكيات المنافية لقيمة المساواة، فلا يقبل من مسلم أن ينال من غيره من أتباع الديانات سواء بالقول أو الفعل أو بالتحريض للاعتداء على النفس أو المال أو

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٣٠٥٢) .

العرض؛ لأن التعاليم الإسلامية تؤكد على أهمية السلوك الحضاري في التعامل مع الناس جميعًا حيث بين النبي ﷺ ذلك فقال «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»[1].

ولا يخفى على أحد خطورة انتشار الفكر العدائي الذي يرسخ لثقافة الكراهية، إذ ذاق العالم بسببه ويلاتٍ كثيرةً مِن المنازعات والصراعات والحروب ولا يزال يعاني منها في مواضع شتى .

فلا شيء كالعنصرية أدى إلى الحروب والعدوان والاقتتال وإراقة الدماء بين البشرية، وليس من سبيل أمان البشرية للخروج من مأزقها هذا سوى الالتفاف حول مبدأ المساواة وتطبيقه كما بينه الإسلام الرافض للتعصب العنصري والداعي إلى التعايش السلمي بين البشرية جمعاء وإلى التعارف في إطار وحدة الأصل .

إن الوعي بمبدأ المساواة يمثل أساسًا حيويًا لانبثاق فكرة التعايش، ومن شأنه أن يعمق الأحاسيس المفعمة بالودّ الإنساني، ولا شك أن امتلاك الإنسان لمثل هذه الأحاسيس جدير بأن يجعله أكثر استشعارًا للإخاء الإنساني، وأميل إلى التفاعل والرضا بالعيش المشترك، ومن هذا المنطلق فإن ما يحدث من فتن بين فئة من أبناء الوطن نتيجة محاولات أعداء الوطن إشعال نار الفتنة الطائفية مرفوض

(١) مسند الإمام أحمد حديث رقم (٧٠٨٦) .

شكلًا وموضوعًا، فلا يمكن أن يقبل الاعتداء من أي طرف على الآخر تحت دعوى أن هذا مسيحي أو هذا مسلم لأننا جميعًا ننتمي إلى وطن واحد، نعتز به، وندافع عنه، وأن حقوق وواجبات المواطنة تؤكد على المساواة بين الجميع، وإن قوة النسيج الوطني تؤكد على ضرورة التلاحم والتعايش بين المصريين .

ولا شك أن عملية الوعي بهذه القيم مسألة مهمة للغاية، إن المسلمين والمسيحيين تعايشوا على مر التاريخ وأسهموا في إثراء الحضارة الإنسانية، وقد جاءت الشواهد الشرعية مؤكدة على مبادئ التعايش السلمي الذي يرتكز على قيمة المساواة.

ومن المواقف المؤسسة للسلوك الحضاري تجاه غير المسلمين، دعوة القرآن الكريم إلى عدم استثارتهم واستعدائهم بسبب التعرض للعقائد.

وعلى نحو ذلك يطالب الإسلام المسلمين بأن لا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦].

وبهذا التوجيه يكون القرآن قد علم المسلمين أسلوب التعامل الحضاري .

إن الإسلام يؤكد على أهمية مراعاة شعور غير المسلمين فلا

يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، وأن يعدل معهم في كل المواقف حتى نتلافى أسباب الخصومة والصراع؛ لأن الصراعات الدامية تبدأ بالكلمة الجافية، وتنطلق إلى الاستخفاف بمعتقد الآخرين، وتعطي الفرصة للمتربصين بالوطن لإشعال نار الفتنة وضرب الاستقرار وتأجيج العداوة في المجتمع.

ولذا فإن الإسلام يحث على التعاملات الاجتماعية التي ترسخ للود والحب بين الناس مثل: جواز عيادة غير المسلمين في حالة المرض التي يكون فيها المرء في حاجة إلى التخفيف عنه بالزيارات المتكررة، وبالتعبير له عن الرغبة في شفائه.

وقد أجاز الفقه زيارة اليهود والنصارى في مرضهم استنادًا إلى كون النبي ﷺ عاد يهوديًا كان يخدمه، وقد سأل الإمام أحمد عن عيادة القرابة والجار النصراني فقال: نعم[(١)].

وكما تجوز عيادة المرضى غير المسلمين، فإنه يجوز للمسلم تشييع جنائزهم، وقد سئل أحمد عن ذلك فقال بجوازه.

ويجوز للمسلم أن يُعزّي غير المسلم بأي لفظ يعني التصبير .

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ٢٠٠ .

ومن التعاملات الإنسانية التي أقرها الفقه الإسلامي في علاقة المسلمين مع غيرهم جواز التصدق على فقرائهم اعتمادًا على فعل الرسول ﷺ الذي تصدق على أهل بيت من اليهود بصدقة ظلت تجري عليهم.

إن الذي يقرره الفقه أن غير المسلمين كالمسلمين في حرمة أموالهم وفي جواز التعامل معهم في كل المعاملات التجارية التي تلتزم بالشروط الإسلامية.

وقد جاءت التطبيقات العملية في مجال العلاقة بين المسلمين وغيرهم خاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى مؤكدة على المعاني الإنسانية التي حث الإسلام عليها في مجال المساواة واحترام إنسانية الإنسان لأجل إقرار وترسيخ التعايش السلمي واستقرار المجتمع.



حماية البيئة من التلوث في المنظور الإسلامي

إن من القضايا التي أثارت جدلا واسعا في المؤتمرات والمحافل الدولية ـ والتي صِيغت لها البنود المتعددة في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية ـ قضية البيئة وحمايتها من التلوث؛ لأن التلوث البيئي بات يهدد سلامة الأفراد والمجتمعات والعالم بأسره من خلال مشاكل التلوث في الماء والهواء والأرض وغير ذلك.

لقد تعالت صيحات الاستغاثة لإنقاذ البيئة من التلوث الذي تفاقمت آثاره، ولذا حظيت تلك القضية باهتمام عالمي عبر المؤتمرات والندوات والمعاهدات والاتفاقيات التي انتهى فيها إلى قرارات لم تجد طريقها للتنفيذ العملي، فأصبحت عقيمة لا جدوى لها ، وليس لها ثمة قيمة في ظل هذا الزخم الكبير من التلوث البيئي.

ومما زاد المعاناة من التلوث عدم التزام الدول الكبرى بنصوص المعاهدات الدولية وبنود الاتفاقيات في الحد من التلوث والحيلولة دون انتشاره.

إن التقدم التكنولوجي السريع والتسابق المحموم في مجال التسلح والرغبة في السيطرة والهيمنة والانفراد بزعامة العالم ألحقت أضرارًا بالغة بكثير من المناطق التي كانت مسرحا للأحداث العالمية ـ

وما تشهده منطقة الشرق الأوسط من الحروب التي تم إشعال فتيلها في سوريا والعراق واليمن وليبيا أثر من آثار ذلك.

هــذا فضــلًا عــن الآثــار الناجمــة عــن التجــارب النوويــة، وعمليــات إلقــاء النفايــات الســامة في الميــاه أو دفنهــا في أراضــي بعــض الــدول الفقيــرة ونحــو ذلــك مــن الممارســات الدوليــة غيــر المسـؤولة التـي تـدمر الأخضـر واليـابس ، لقـد دفعـت رغبـة الـدول الكـبرى في السـيطرة والتقـدم السـريع في مجـال التسـلح إلـى عـدم الاكتراث بالآثار المدمرة لتلوث البيئة.

إن هذا الأمر يستوجب الشعور بالخطر الكبير الناجم عن التلوث الذي ألحق الأضرار البالغة بصحة الإنسان وبالبيئة خاصة في الدول الفقيرة.

ويحسن بنا في هذا الصدد أن نبرز النظرة الإسلامية للبيئة وأهمية حمايتها من التلوث.

إن الإســلام حــرص علــى أن يُحســن النــاس اســتغلال بيئــتهم الطبيعيـة، وأن يتعايشـوا معهـا بمـا يحقـق الإفـادة منهـا والحفـاظ علـى مقوماتها وذلك من خلال عدد من الجوانب المهمة لعل مـن أبرزهـا مـا يلي:

أولاً: الجانب التثقيفي في المنظور الإسلامي لحماية البيئة من التلوث:

بين الإسلام مكانة الإنسان في هذا الكون واستخلاف الله تعالى له وتميزه على سائر المخلوقات ، وقد سخر الله تعالى للإنسان سبل العيش في البيئة وذلك من خلال تسخير الكائنات والمخلوقات في هذا الكون لأداء رسالتها المنوطة بها .

وبالنظر إلى تذييل الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن ، نجد أنها تحث على الفكر والتأمل، وإعمال النظر والعقل للتعرف على طبيعة العلاقة بين الإنسان والكون ـ البيئة[1] ـ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر:٢١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران:١٩٠] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، والتي تشيد بالعقل والتفكر .

ولا يسع الإنسان العاقل إلا أن يفهم طبيعة العلاقة ببيئته. تلك

(١) المجلة الأمريكية للزراعة وسلوكيات البيئة، أ/ صفي الدين حامد ، ١٢، واشنطن ، ١٩٩٦م.

العلاقة التي تستوجب التأمل والاعتبار والعمل على استثمار هذه البيئة على الوجه الأمثل ، وبالمنهج الذي رسمه الإسلام وبما يحقق الاستفادة من البيئة والمحافظة على توازنها وعدم إلحاق الضرر بها .

إن تسخير الأرض للإنسان واستخلافه فيها يقتضيان انتفاعه بما خلق الله تعالى في هذا الكون، واستثمار ما في البيئة من خيرات وثمرات سدًا لحاجته وحاجات المجتمع الأساسية، والاستثمار إنما يكون بالعمل، وقد حث الإسلام على العمل ورغب فيه .

قال ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها ، أو ليمنحها أخاه ، فإن أَبَى، فليمسك أرضه»[1]، وما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها»[2].

وما رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[3].

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٣٤١ ..
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤، ١٩١) والإمام البخاري في الأدب المفرد رقم (٤٧٩) .
(٣) صحيح مسلم ، حديث رقم ١٥٥٢ .

وكما دعا الإسلام إلى استثمار موارد البيئة، دعا أيضًا إلى عدم الإسراف في استهلاكها.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[الأعراف:٣١].

وما ينسحب على الأكل والشرب وعدم الإسراف فيهما، ينسحب أيضًا على استخدام الإنسان لكافة النعم المبثوثة في البيئة.

وإذا كان التلوث وفساد البيئة ناجمًا عن ظلم الناس وتجاوزهم والتعامل غير الإنساني مع مقومات البيئة، فإن الإسلام نهى عن الإفساد في الأرض وإتلاف البيئة بأي شكل؛ لأن ذلك عدوان وظلم؛ حيث تشكل البيئة في المنظور الإسلامي كيانًا حيًا، فليست الأرض مجرد جرم يطؤه الناس بأقدامهم، ويفعلون على ظهرها ما يشاءون، وليست الجبال مجرد كيانات هامدة وإنما هي كيانات حية لها حس ولها انفعال خاص[1] قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء:٤٤]، قال ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[2]، (ويعكس التصور الإسلامي نظرة عميقة

(١) البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د/ عبد الحكم الصعيدي، ١٠٣.
(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (٢٢٧٧).

لمفهوم البيئة، فقد طالب الإسلام الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة، يجب الحفاظ عليها، حيث إن الإنسان مستخلف في هذا الكون، وأن البيئة بمواردها الطبيعية المختلفة لا تعتبر ملكًا خالصًا لجيل من الأجيال، وإنما هي ميراث للأجيال المتعاقبة، ومن ثم وجب المحافظة عليها)[١].

يقول روبرت لافون ـ أحد الغربيين: (ينبغي أن نقول إننا نمثل حضارة تبذير، لقد عشنا في أوروبا الغربية منذ حروب الانفجار الصناعي والمدني في بداية القرن التاسع عشر في مجتمع يسرف في التبذير في كل شيء):

- تبذير في الأرض المستغلة في بناء مدن غير منظمة .
- تبذير في المواد الأولية بسبب التصنيع غير المنظم .
- تبذير بسبب جهلنا لتطور البيئة الطبيعية .

إن المصادر الطبيعية التي بددناها أصبحت محدودة، ونحن ندخل في عصر ندمر فيه ما يحيط بنا، ولابد من إنهاء التبذير في المواد التي لا تتجدد كالطاقة وذلك عن طريق وضع سياسة سكانية متزنة[٢].

---

(١) معالم المنهج الإسلامي لحماية البيئة، د/ محمد يونس، ١٢٣ – ١٢٦ .

(٢) البيئة وعلاقتها بحقوق الإنسان والمنهج الإسلامي في حمايتها، علي سليمان الطعيمات، ٦٢ – ٦٣.

إن النظرة الإسلامية في التعامل مع كافة مقومات ومكونات البيئة تنطلق من الاعتدال والتوسط وعدم الإسراف والتبذير، وذلك حفاظًا على البيئة التي حبانا الله بها .

واتساقًا مع النظرة الإسلامية في حماية البيئة من التلوث تكرر النهي عن الإفساد في الأرض بكل مقومات الحياة فيها سواء بطريق مباشر أم غير مباشر.

وفي ذلك يلفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى النعم منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[السجدة:٢٧].

ومن مظاهر الحفاظ على نظافة الماء وعدم تلويثه؛ لأنه من أسباب الحياة ـ جاء نهي النبي ﷺ عن تلويث الماء فقال ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري»[(١)].

قال الإمام ابن حجر: (والمعنى أنه إذا بال فيه قد يحتاج إليه فيمتنع عليه استعماله، ولا فرق في الماء الذي لا يجري في الحكم المذكور بين بول الآدمي وغيره)[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٩) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١ / ٤١٤ .



إن المنظور الإسلامي في حماية البيئة من التلوث يمنع إتيان أي أسلوب من أساليب التعامل مع البيئة من شأنه أن يؤدي إلى تلويثها، وتلك صورة من صور النهي.

وما أسوأ الآثار للبول في الماء أو قضاء الحاجة، أو عملية الصرف الصحي التي تتم في نهر النيل أو الترع أو البحيرات أو غير ذلك، مما أدى إلى انتشار أنواع الأمراض والبلهارسيا التي فتكت بأعداد غير قليلة من الشعب المصري، (إن هناك عددًا من الأمراض تنشأ عن تلوث المياه بواسطة إفرازات الإنسان والحيوان الحامل للفيروسات والأمراض، فيؤدي ذلك إلى الإصابة بالأمراض المختلفة والمشاكل الصحية الخطيرة التي تعاني منها مجتمعات كثيرة في الدول الفقيرة)(١) هذا فضلًا عن إلقاء المخلفات الصناعية للمصانع وغيرها في الماء هذا على مستوى الدول الفقيرة.

أما على مستوى الدول الكبرى فهناك كوارث بيئية تصنعها تلك الدول عن طريق إلقاء النفايات السامة في البحار والمحيطات وعملية غسل ناقلات البترول في البحار، لأجل تنظيف خزانات تلك الناقلات وتفريغ مياه تنظيفها في البحار، أو تفريغ بعض الكميات في المسطحات

(١) تلوث المياه، أ/ خالد بن حسن بانا، ضمن بحوث ندوة السلامة في المشاعر المقدسة، ٢ / ٩٠.

التي يراد تلويثها، أو الإضرار بالبيئة البرية والبحرية فيها، هذا فضلا عن حوادث الناقلات البحرية التي تحمل النفط ، مما يؤدي إلى تلوث المياه في البحار والمحيطات[1] .

ناهيك عن أضرار الحروب وما تخلفه من تلوث في البحار والمحيطات.

إن مثل هذه الممارسات غير المسؤولة وغير الإنسانية يرفضها الإسلام، ويحظر على المسلم فعلها؛ لأن ذلك يؤدي إلى إلحاق الضرر بالإنسان والحيوان والنبات والأحياء البحرية التي تعد من غذاء الإنسان فضلًا عن إتلاف الشعاب المرجانية ، وغير ذلك من ألوان الفساد.

إن الإسلام دعا إلى النظافة الحسية والمعنوية ، نظافة بدن الإنسان ونظافة ملابسه والمكان الذي يجلس فيه والمسجد الذي هو مكان للصلاة والطريق الذي يسير فيه والبيئة التي يعيش فيها وليس هذا سلوكًا فرديًّا، بل هو سلوك جماعي يثاب الإنسان على فعله ويأثم على تركه .

وقد وضع الرسول ﷺ تصورا عظيما لحماية البيئة من التلوث والإفساد، وذلك في تشبيهٍ رائعٍ ، فقال ﷺ: «مثل القائم في حدود الله

(١) التلوث وحماية البيئة ، د / محمد عبدو العودات ، ١٥٥ .



والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على يديهم نجوا ونجوا جميعًا»[1].

لقد حافظ الإسلام على البيئة ومظاهرها ومقوماتها في منهجيه متكاملة الجوانب وذلك من خلال المحاور التالية:

١- المحافظة على إنسانية الإنسان، وسلامته باعتباره محور البيئة.

٢- تعمير الأرض وحسن استغلالها وتجريم الإفساد فيها.

٣- المحافظة على سلامة المياه .

٤- حماية الكائنات الحية .

٥- المحافظة على جمال البيئة وصيانتها .

٦- الاعتدال في استخدام الموارد البيئية واستغلالها الاستغلال الأمثل مما يحافظ على مقوماتها[2].

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٤٩٣ .
(٢) انظر : المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، ٤٠ .

إن الإسلام ينظر إلى عمارة الأرض على أنها نوع من العبادة، إذ الإنسان مخلوق لعبادة الله تعالى، ومفهوم العبادة لا يقتصر على أداء الشعائر الواجبة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، بل يشمل أداء جميع التكاليف من واجبات ومندوبات.

وقد منع الإسلام الضرر المباشر وغير المباشر عن الإنسان وبيئته المحيطة بحظر مسبباته، وتلافي آثاره بعد وقوعه.

إن الاهتمام الدولي بالبيئة وحمايتها والمحافظة عليها من التلوث أخذ الكثير من المؤتمرات والاتفاقيات العالمية التي عقدت للنظر في المشكلات البيئية التي تهدد سلامة الإنسان واستمرار الحياة على الأرض، وقد حددت واجبات الدول في مواجهة مختلف أشكال الخلل البيئي، لكن الضوابط والمعاهدات الدولية التي توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين طموح الإنسان علميًا وتقنيًا واقتصاديًا من جهة، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى. إلا أن الإسلام كان سبّاقًا إلى حفظ مقومات الحياة، ووضع التشريعات المحكمة لرعاية البيئة وحمايتها من التلوث، وقد رسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال البيئة.

المبدأ الأول: درء المفاسد، حتى لا تقع بالبلاد والعباد، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر ولا ضرار.

المبدأ الثاني: جلب المصالح، ببذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية.

وإن أهم ما يميز المنهج الإسلامي الرشيد هو: الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب والقلق في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله تعالى للحياة والأحياء في هذا الكون.

إن الوسطية ترتبط بالتسخير كي يستفيد الإنسان من تسخير مكونات البيئة بأسلوب معتدل، وينبع هذا الاعتدال من حقيقة موقع الإنسان في الكون، فالإنسان في المنظور الإسلامي (سيد في الكون) وليس (سيد الكون) كما يرى الفكر الغربي، ومن ثم فإن حركة الإنسان وسلوكه تجاه مكونات البيئة تحددها جمله التعاليم والمبادئ والقيم التي جاء بها القرآن الكريم ووردت في السنة النبوية، كما ترتبط بالمعالم الأساسية للمنهج الإسلامي في الحياة والكون، لأجل الحفاظ على مقومات البيئة وتوجيه الإنسان إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع البيئة الطبيعية التي تتعرض في كل لحظة لظلم الإنسان.



ثقافـــة الاختـــلاف

الاختلاف بين البشر قديم منذ وجود الإنسان على هذه الأرض ، وللاختلاف تجليات كثيرة تتعلق بمدارك الناس وطباعهم ومصالحهم وبيئاتهم ، واختلاف اللغة واختلاف الظواهر الكونية.

وقد أثبتت الدراسات (السيكولوجية والاجتماعية) أن القدرات العقلية للفرد ، لا يمكنها أن تتطور إلا مع الآخر المُختلف ، أي في ظل التدافع المعرفي والجدال العلمي، بوصفه الأفضل للتطور الذهني والثقافي.

وأكدت الأبحاث الميدانية في مجالي التربية وعلم النفس على أن التقدم المعرفي وإثراء الفكر لا يحصل إلا إذا وجد الأفراد أنفسهم في مواقف اختلاف ومواجهة مع أفراد متنوعي المستويات الثقافية .

إن اختلاف الأمم في أمزجتها النفسية والعقلية يجعل كل واحدة منها تتصور الوجود بصورة خاصة بها ، وينشأ عن هذا شدة اختلافها في ثلاثة أشياء في الحس أو (الشعور) وفي العقل وفي العمل[1] .

ولذا فإن الاختلاف ليس ظاهرة مرضية يجب القضاء عليها، بل إن وجوده يؤكد على حيوية المجتمع والحراك الفكري الموجود فيه .

(١) أدبيات التعايش بين المذاهب – حسين على مصطفى ص ١٠٤ .

إن الاختلاف لا يمكن فهمه إلا بوصفه نتاجًا للعقل وتفاوت قدراته واختلاف نظرته للحياة، فالاختلاف المقبول لا بد أن يتم في إطار الوحدة؛ لأنه مع الاختلاف توجد المشتركات التي تعطي مساحة للتعاون والبناء المشترك.

إن القرآن الكريم حينما وجّهَ خطابه للإنسان راعى الخصوصية الفكرية والطبيعية الجدلية له قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف: ٥٤].

إن الخطاب القرآني لم يُقدَم مُجردًا عن البراهين والحجج، ولذا ينبغي أن يكون الاختلاف عن دليل وبينة.

لقد اجتمع الأنصار والمهاجرون بعد وفاة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى أصولهم من الهجرة وأهل النصرة من المدينة ورجعت كل قبيلة إلى أصلها تنادي إلى عرقها وأصلها ، وعلت الأصوات وكثر الضجيج كل يقول حجته وما قدم للإسلام .

لكن من الذي حكم في هذا الاختلاف؟ حين ظهر عمر رضي الله عنه بقوله لأبي بكر رضي الله عنه: ابسط يدك لأبايعك رضيك رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاك لدنيانا، ماذا كان من القوم؟ قاموا جميعًا وبايعوا أبا بكر. لم؟

لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقام الدليل، إن رسول الله ﷺ أناب أبا بكر في الصلاة حتى إنّ أبا بكر تأخر عن الإمامة مرة ، وقُدم عمر؛ لأنه قوي الصوت ، فخرج رسول الله ﷺ يجر ثوبه وهو مريض، وقدم أبا بكر وصلى خلفه قاعدًا.

الدليل إذن هو الذي يحكم الخلاف وهذا هو أول أدب في فكر الإسلام، والأدلة معروفة إما من القرآن أو السنة أو الإجماع أو القياس أو من الأدلة الفرعية المختلف عليها كالاستحسان والمصالح المرسلة....الخ . إن الخلافات الفقهية الفرعية لا صلة لها بكفر أو إيمان(١).

إن الأئمة عندما اختلفوا ما زعم أحدهم أنه أصاب الحق الذي يريده الله تعالى بل قال كل منهم: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، وبقي الخلاف، وبقي الودّ، وبقي التواضع في أني أبذل جهدي للوصول إلى الصواب.

إنه لابد من الفهم الواعي لحقيقة الاختلاف وضرورته ، وحق كل إنسان أو كل فئة للتعبير عن آرائها بما لا يؤثر على حرية الآخرين، أو يؤدي إلى إشاعة الاضطراب والفوضى الفكرية في المجتمع ويؤثر

(١) أدب الاختلاف في الإسلام، الإمام الأكبر شيخ الأزهر - جاد الحق علي جاد الحق ص ٤ – ٥ .

سلبًا على وجدان الناس، إن غياب ثقافة الاختلاف يؤدي إلى شخصنة الأمور ولا يقبل البعض الاختلاف في الرأي وإنما يعتبره خلافًا شخصيًا حتى إنه يُعد عدم الأخذ برأيه هزيمة شخصية، ويسعى للانتصار بشكل أو بآخر، وهناك من يُؤثر السلامة ويلوذ بالصمت، وهناك ما يوجب الكلام والتصريح برأي مختلف، إيثارًا للسلامة ورغبة في عدم الدخول في جدليات أو غير ذلك.

ولكن لابد من ترسيخ ثقافة الاختلاف في عمليات التربية وتنشئة الأولاد ويتطلب ذلك وجود الوعي المناسب لدى الأسر مما يلقي بالتبعة على أجهزة الإعلام والفضائيات وأهمية بيان أن الاختلاف لا يعني الخلاف، وأنني حينما أختلف معك لا صلة لذلك بشخصك وإنما نختلف على الفكرة أو الموضوع أو القضية ونحتاج إلى الحوار الذي لا يصادر على الآراء، بل يحترم التعددية ويعتمد على الأدلة والبراهين ، فليس لأحد أن يصادر على حق أحد في التعبير ، وقد ضرب الأئمة الكبار في الفقه الإسلامي أروع الأمثلة في ذلك سواء داخل المذهب الواحد أو بين المذاهب دون أن يقوم احدهم بتكفير الأخريين أو إقصائهم أو إخراجهم من مدرسة معينة.

إن إقصاء الآخر للاختلاف معه، مسألة تتطلب معالجة موضوعية في ضوء واقعنا المعاصر الذي يتطلب قدرات معينة للوصول إلى

التعايش السلمي والتكيف مع التحديات الكبيرة وإدراك كيفية مواجهتها. فلقد أصبحنا جميعًا في مواجهة خطيرة مع الإرهاب وجماعاته التي انتشرت في دول العالم تحت مسميات كثيرة وكلها ترفع راية الإسلام وتدعي زورًا الدفاع عنه، فتقتل وتذبح وتفجر باسم الجهاد، ورغبةً في استعادة الخلافة المزعومة.

إن ما يموج به عالمنا الآن يحتاج إلى نشر ثقافة الاختلاف كيف نختلف وما أدب الاختلاف وإدراك أن الاختلاف لا يعني التكفير ولا يجعل اهتماماتنا محصورة في التسميات فهناك قضايا كبرى تعاني منها الأمة، وقد كان خصومها على درجة عالية من الوعي والفهم للعقلية الإسلامية التي باتت تعاني ضبابية في الرؤية حيث افتقدت البوصلة التي يمكن أن تحدد الغاية التي ينبغي أن يُسعى إليها .

ونظرًا لأهمية هذه القضية (الاختلاف) فإن الأزهر الشريف عمل على ترسيخ ثقافة إدارة الاختلاف من خلال مناهجه وعلومه.

وقد عمل على مر تاريخه السني على احترام التعددية الدينية والمذهبية والثقافية.

الاختلاف في طبائع البشر:

إن البشر مختلفون في كافة الطبائع : (الفهم – العقل – القدرة على التحصيل)، وقليل هم الذين يدركون المسائل الدقيقة التي تحتاج

إلى إدارة الاختلاف يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، فلم يسند العلم والفهم لكل الناس وإنما لفئة تهيأت أو هيأها الله سبحانه وأهلها بالقدرة على الاستنباط والبيان والفهم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢]، إذن الاختلاف في طبائع البشر وفي قدراتهم وفيما أودع الله فيهم من عقل وفهم، وتفاوتهم في ذلك وامتياز كل منهم في أمر دون الآخرين كل هذا من أسباب الاختلاف، لكنها أسباب لا تؤدى بطبيعتها إلى الخروج عن أدب الخلاف، وعلى كل واحد أن يقف عند الحد الذي شرعه الله .

ولكن ماذا يحدث إذا غاب الدليل ؟

لدينا أمثلة كثيرة توضح لنا الموقف إن غاب الدليل، وتوضح لنا الحل .

منها ما حدث في عهد النبوة:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ كَيْفَ تَقْضِي؟ إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ .

قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ ؟ قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ ؟ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو.

فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ[(١)].

الاجتهاد إذا هو المآل وهو بالمعنى العام له أساليب كثيرة كالقياس والاستصحاب والاستحسان والمصلحة إلى أخر ما اجتهد فيه السلف الصالح من العلماء وقننوه وبوبوه وأنشأوا لنا علما يسمى علم ((أصول الفقه))، وهو الأداة الصالحة التي يحصل بها العلماء المتفقهون على طرق الاستنباط وعلى إتقان الاجتهاد .

هذا الاجتهاد هل يحسنه كل إنسان ؟ الاجتهاد في الطب أو في الهندسة أو في الرياضة أو في العلوم أو في الشرع كل هذا جائز، ولكن لكل نوع من الاجتهاد رجاله ووسائله وتأهيله.

فهل من أدب الاختلاف أن يدخل الإنسان فيما لم يتأهل له ؟ هل يجوز لطبيب أن يعمل مهندسًا؟ أو لمهندس أن يعمل طبيبًا؟

إن هذا لا يجوز، إن من أدب الاختلاف أن يراعى كل لما تأهل له وما تخصص فيه حتى يحسنه .

(١) سنن أبي داود «كتاب الأقضية» باب اجتهاد الرأي في القضاء رقم ٣٥٩٢ .

إن فقه الاختلاف ينتج صبر النفس على الاستماع إلى الآخرين، وإلى وجهات نظر متعددة فمن خلال التفكير وإعمال العقل وتأمل أدلة المخالف تقل مساحات الخلاف فإما أن يحصل التوافق إلى نتيجة واحدة، وإما أن يعذر كل واحد منهما صاحبه فيما انتهى إليه، وإما أن تقام الحجة على المخالف .

وحين وُجدت هذه المعاني لدى الصدر الأول كان أهله أكثر توافقا، وأعظم معذرة للمخالف، فقد كانت الأقوال الواردة عن الصحابة والتابعين أضعاف الأقوال التي استقرت عليها المذاهب المتبوعة[1] .

إنه في ظل الإسلام وبوحي من أدبه العالي يتجه المسلم إلى الآخرين بقلب مفتوح، مهما كانت ديانة هؤلاء الآخرين، فاختلاف الدين لا يفسد للود قضية، ولا مانع أن يمد المسلم يده بالبر والعدل إلى من خالفه في العقيدة، ليتم بهذا البر لون من التعايش السلمي وبحكم الإنسانية الجامعة لسنا أضدادًا، حتى نكون بالضرورة مختلفين ولكننا نختلف وليس كل مختلفين ضدين.

ولقد كان فارس الخوري ـ المسيحي ـ صديقا حميمًا لمندوبي اندونيسيا وباكستان ـ المُسلِمين وكان يردد:

(١) منهجية التعامل مع المخالفين – سليمان عبد الله الماجد، ص١٤ .

أنا مسيحي دينًا، ومسلم وطنًا وثقافة[1].

وقد ظلت الأجناس العديدة من أبناء الشعب الأندلسي تتجاور وتتعايش وتعمل على رفض أية محاولة للتفرقة بين بعضهم البعض، وكان المسيحيون من أبناء البلاد يدركون أن سلامتهم في الحفاظ على الوحدة الوطنية، ويقفون بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه من ذوي النفوس المريضة بالدس أو الوقيعة، وذلك على نحو ما حدث في حكم عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ - ٨٢٢م - ٢٣٨هـ - ٨٥٢م) فمن الشخصيات المسيحية التي تصدت للفتنة الطائفية التي نشبت إذ ذاك «قومس بن انطنيان».

لقد جذبت الأندلس بأضوائها أنظار أهالي أوروبا كلها، سواء من العامة أو من رجال السياسة والحكم فقد تطلعوا جميعا إلى تدبير شئونهم الدنيوية بالمثل، وكان من القوى الأوربية التي أقبلت على الأندلس : فرنسا، والدولة الجرمانية في بافاريا، ودولة النورمان في إنجلترا، فقد ترامت إليهم الأنباء والتقارير عن حضارة المسلمين الزاهرة في بلاد الأندلس، وما حققته تلك الحضارة من منجزات في شتى ميادين العلوم والفنون وما وصلت إليه الجامعات الإسلامية من تقدم ورقي علمي، فضلا عن المعاملة التي كان يلقاها المسيحيون واليهود من أبناء الشعب الأندلسي .

(١) من أجل حوار لا يفسد للود قضية، د. محمود محمد عمارة ص ٣٩ .



وبدأ الأوربيون يفدون على الأندلس، وبخاصة البعثات الرسمية، حيث جرى استقبالهم في ظل الحفاوة الشعبية والرسمية مما أدى إلى فتح صفحة مشرقة في رسالة الإسلام بالأندلس، قوامها علاقات إسلامية أوربية تستند إلى احترام المسلمين لحقوق الجوار التي قررها دينهم الحنيف[(١)].

من أدب الاختلاف في الإسلام :

١- أن يكون الاختلاف طلبًا للمصلحة وللفهم الصحيح وألا يكون متعصبًا ولا ميلًا، ولا استعلاء ولا غرورًا.

٢- أن يكون الاختلاف عن دليل؛ لأن التعصب للرأي دون دليل صحيح أو للغرور أو للتعالي كل هذا أمر مذموم وليس من أدب الاختلاف إطلاقًا.

إن سيدنا بلال رضي الله عنه حين جاءت آية التيمم خلع ملابسه وتمرغ في التراب، فلما بلغ الرسول بينَّ التيمم وقال إنه ضربتان : ضربة للوجه وضربة لليدين، لأن القرآن قال: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ وسكت ففهم بلال رضي الله عنه أن التراب للجسم كله،

(١) تأثير الثقافة الأندلسية في أسبانيا وأوروبا، د. السيد عبد العزيز سالم ص ٢٠٥.
- الإسلام عطاء وتنوير – د. عبد الفتاح غنيمة ص ١١٠ .

فلما بين رسول الله ﷺ المراد من تيمم الصعيد الطيب هل تمرغ أحد بالتراب بعد ذلك أم الكل التزم ببيان رسول الله ﷺ؟

فالخلاف إذن لا ينبغي أن يكون سببه التعصب بالرأي أو الغرور.

٣- أيضا من الأسباب التي ينبغي أن يحرص عليها كل باحث عن حكم شرعي أن يتفهم القضية وأن يتفهم موضع النزاع كما يقال، فالقضية تدرس دون عجلة؛ لأن العجلة في بيان الحكم أو في إدعاء العلم قد تؤدي للخطأ كيف وقد نقل أن أئمتنا كانوا يرسلون السائل على غيرهم حتى لا يتحملوا وزر الفتوى إذا أخطأوا، مع أن النبي ﷺ، قال: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١).

إن فهم واستيعاب ثقافة الاختلاف أمر مهم للغاية ينبغي ترسيخه في البيوت وفي مؤسساتنا التعليمية والإعلامية بدلًا من التصادم والتنافر والتنابز والتكفير.



(١) صحيح البخاري «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم ٦٩١٩ .

الرؤية الإسلامية في مواجهة أزمة الاحتكار

من يتابع حركة السوق في مجال السلع التموينية والمتطلبات اليومية والحياتية يلحظ ظاهرة ارتفاع الأسعار بشكل كبير، التي أدت إلى انزعاج الناس، وتأثر الفقراء والمحتاجين ومحدودي الدخل بسبب الغلاء وظاهرة احتكار السلع، وتسلط المستغلين من التجار، مما كان سببًا في ارتفاع الأسعار وقد تحدث الفقهاء عن الاحتكار وبيّنوا معناه: أن يكون الشيء المُحتكر من الأقوات كما قال ابن قدامة في المغني: «.. وأن يكون الشيء المُحتكر من الأقوات التي يحتاج إليها الناس وأن يُلحِق المُحتكر الضرر بالناس من جراء ذلك الاحتكار»[(١)].

إلا أن معاني الاحتكار تتسع باتساع احتياجات الناس في هذه الحياة سواء فيما يتعلق بالأقوات أم بغيرها مما يحتاجه الإنسان في حياته، ويتم استغلال تلك الحالة من الاحتياج للمبالغة في رفع الأسعار.

إن هذا النمط من السلوك ينطوي على الظلم والاستبداد بالشيء؛ ولذا فإن العلماء اتفقوا على أن الاحتكار حرام، والكسب به خبيث لا

(١) المغني لابن قدامة، ٤/ ١٤٤.

يحل لصاحبه، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ»(١).

وروى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ»(٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ اللهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ»(٣).

ولا شك أن الاحتكار دليل على الأنانية والأثَرَة وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة مما يكون سببًا في خلق الأزمات في المجتمع، وظهور الغلِّ والحقد بين فئاته، وقد عمل الإسلام على محاربة ذلك من خلال الحث على توفير السلع التي يحتاجها الناس بالأسعار المناسبة، والسعي في جلبها وضمان وصولها إلى مستحقيها.

المنفعة الشخصية والتعامل مع الأزمات:

إننا حينما ننظر إلى أحوال الناس وطرق تعاملهم مع الأزمات نقف على صور متباينة من التعاملات، فهناك من يسارع في استغلال الأزمات فيلجأ إلى رفع الأسعار بشكل غير مقبول، وهناك من يُرّوجُ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الحكرة والجلب، (٢١٤٤)
(٢) مسند الإمام أحمد، ٨٢٦٣.
(٣) مسند الإمام أحمد، ٤٧٤٨.

للاستغلال ويدعي أن السعر الموجود حاليًا للسلعة المعينة سيصل خلال هذا الشهر إلى كذا وكذا مما يؤدي إلى حالة من الإقبال غير المبرر على الشراء بأسعار مرتفعة خشية ارتفاع السعر أكثر من ذلك، ويُعد ذلك تسويقًا غير مباشر للاحتكار.

هذا ما يجعلنا نتساءل عن دورنا في مواجهة أزمة الاحتكار.

إن الحياة التي نعيشها تعج بصور الأنانية والاستغلال بدءًا من الأسرة وانتهاءً بالمجتمع، فهناك فئات من الآباء والأمهات تقوم علاقاتهم بأبنائهم على الأنانية والأثرة، وعلاقة فئات من الأبناء بآبائهم وأمهاتهم على هذا الحال أيضًا، وهناك فئات من الأزواج تقوم علاقتهم بزوجاتهم على الاستغلال منذ لحظة الاختيار، زواج المصلحة الذي لا يهتم بالمودة والرحمة، بل تحركه المنفعة، فهناك صور كثيرة من العلاقات القائمة على المنفعة الشخصية، مما ينعكس سلبًا على واقع الحياة.

لا شك أن تلك الذهنية التي تنطلق من المصلحة الشخصية دون الاكتراث بمصالح الناس، تعد بمثابة البيئة الحاضنة للاحتكار مما يجعلنا بحاجة إلى التعرف على نظرة الإسلام لهذه الأزمة التي تُمنى بها المجتمعات، وكيف يكون التعاطي مع الظروف القاسية التي يمر بها

الناس؟ هل يقنع الإنسان بدور المتفرج أم يكون لـه دور إيجابي يسـهم من خلاله في حلّ الأزمة، ولا يكن من أسباب الأزمة؟

إن القرآن الكريم بيّن لنا صورًا رائعة من التعامل مع الأزمات منها على سبيل المثال:

موقف الأنصار من المهاجرين قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

[الحشر:٩]

لقد سجل القرآن الكريم تلك الصورة الرائعة من الإيثار الكريم والتطوع العظيم ليكون درسًا عمليًا للناس على مرّ الأجيال.

قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْوَلِيدِ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا. قَالَ: «إِمَّا لَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ»(١). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ للأنصار، (٣٥١٠).

وقال البخاري: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتْ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ. قَالَ: لَا فَقَالُوا تَكْفُونَا الْمَئُونَةَ وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ؟ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[1]. تفرد به مسلم.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»[2]، فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟». قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ[3]، وهذا الماء الذي عُرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى

(١) مسلم، كتاب المزارعة، باب إذا قال اكفني مئونة النخل وغيره، (٢١٥٧)
(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الفصل الثاني في آداب الصدقة، ج٦، ص٤٠٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الزكاة (١/ ٤١٤)، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٣) سنن أبي داود، باب ٤١ في الرخصة في ذلك، ج٢، ص٥٤، (١٦٨٠).

الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن أخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم[1]، ماتوا جميعًا عطشى كل منهم آثر أخاه حتى ماتوا جميعًا، ولم يشربوا إنها صور رائعة من الإيثار وسمو النفس وتألقها.

يقول الطاهر ابن عاشور:

إنك إذا أعمقت التدبر وجدت المؤاساة من مقتضيات الفطرة، فليست المؤاساة بحاجة إلى إيوائها تحت ظل الأخوة؛ لأن المؤاساة كفاية حاجة المحتاج عند الشعور بأنه محتاج، ومن الفطرة الإنسانية انفعالُ النفس برقة ورحمة عند مشاهدة الضعف والحاجة لاستشعار تألم المحتاج، ثم اندفاع بذلك الانفعال إلى السعي في تخليصه من آلام تلك الحاجة، لا يتخلف هذا الإحساس إلا نادرًا عندما يحف به عارض يعكسه إلى ضده مثل حال عدم الرأفة مما يُتقى أذاه كالعقرب والسبع.

فالمؤاساة أصل من أصول نظام الإسلام وكانت من أول ما دعا إليه الإسلام ونزل به القرآن في أوائل نزوله قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٨٥١.

مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[البلد:١٢-١٦] ومن آى سورة المدثر وهي أول القرآن نزولًا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[المدثر:٤٢-٤٤].

وجاء في سورة المزمل وهي من أول القرآن نزولًا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المزمل:٢٠] يليه ما ورد في ذلك من الآيات وأقوال الرسول بعد انتشار الإسلام وتتابُع الوحي.

لقد تسابق الأنصار إلى المؤاساة كل بما يجد، فكانوا يواسون المهاجرين بدورهم للسكنى، وبأن عرضوا على المهاجرين أن يعطوهم ثمرة نخيلهم، فقال رسول الله: «لا ولكن يكفونكم العمل ويأخذون نصف التمر»، وبلغ السخاء ببعضهم أن عرض على بعض المهاجرين أن ينزل له عن إحدى زوجتيه ليتزوجها، ففي صحيح البخاري أن سعد ابن الربيع الأنصاري وكان أخًا لعبد الرحمن بن عوف المهاجري بالمؤاخاة التي بين المهاجرين والأنصار وكان له زوجتان وكان عبدالرحمن عزبًا فقال سعد لعبد الرحمن: انظر أي زوجتي تحب أن أتنازل لك عنها وأعطيك نصف مالي، فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق، وهذا

المقدار من المؤاساة أريحية من هذا الأنصاري دلتنا على مبلغ تسابق الأنصار في مؤاساة المهاجرين.

إن المؤاساة تظهر في أنواع كثيرة هي: الزكاة والصدقة والإنفاق والهبة والإسلاف والعارية والإرفاق والعتق بأنواعه، والإسكان والإخدام والمنحة[1].

هذه هي الرؤية الإسلامية في مواجهة الأزمات والإسهام في حلها بشكل عملي يُشعر المسلم بواجبه الإنساني نحو الناس جميعًا المسلم وغير المسلم، ولعل موقف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من هذا الرجل اليهودي خير شاهد على الجوانب الإنسانية التي يرسخها الإسلام في نفوس أتباعه حتى يستطيعوا مواجهة الأزمات بطريقة تحترم إنسانية الإنسان، فقد أبصر عمر شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ: ما لك؟ قَالَ: لَيْسَ لِي مَالٌ، وَأَنَّ الْجِزْيَةَ تُؤْخَذُ مِنِّي، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَنْصَفْنَاك، أَكَلْنَا شَيْبَتَك، ثُمَّ نَأْخُذُ مِنْك الْجِزْيَةَ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لَا يَأْخُذُوا الْجِزْيَةَ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ»[2].

فعلى عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر المسلمون بأزمات اقتصادية طاحنة في حصار قريش للمسلمين في مكة ومؤاخاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ١٢٩-١٣٠.
(٢) نصب الراية لأحاديث الهداية، باب الجزية، ج٣، ص٤٥٣.

والأنصار بعد الهجرة وفي غزوة تبوك وتجهيز جيش المسلمين وفي عام الرمادة سنة ١٨هـ في عهد عمر بن الخطاب لكن كيف تم التعامل مع هذه الأزمات؟

فمن الأمثلة الرائعة على عهد رسول الله ﷺ عثمان بن عفان كان أجود الناس بماله في كل محنة وشدة أصابت المسلمين، فعندما قدم النبي ﷺ المدينة والمسلمون معه شكا المهاجرون من قِلّة الماء، وتغير طعمه، ولم يجدوا بها غير بئر واحدة ماؤها عذب ولكنها كانت ملكًا ليهودي وكان يغالي في ثمنها ويحتكر ماءها.

فقال النبي ﷺ: «من يشترى بئر رومه غفر الله له» فأتى عثمان بن عفان وتفاوض مع اليهود واشتراها ليشرب المسلمون منها.

ولما ضاق مسجد الرسول ﷺ بالمدينة بالمسلمين، حث الرسول المسلمين على توسعة المسجد.

فقال من يشترى بقعة فلان فيزيدها في المسجد غفر الله له تقدم عثمان واشتراها وضمها لمسجد رسول الله.

وفي غزوة تبوك وهي التي تجهز فيها الروم لمداهمة المسلمين، وكان المسلمون في زمن العسرة وشدة جدب الأرض، فلما علم النبي ﷺ دعا المسلمين إلى تجهيز جيش المسلمين لقتال الروم والهجوم عليهم في تبوك قبل أن يهاجموا المسلمين، وكان عثمان رجلًا تاجرًا قد

جهز عيرًا إلى الشام فيها مائتا بعير فحوّلها وقال هذه في سبيل الله بما عليها ومائتا أوقية من الذهب فأفرغها أمام رسول الله فصار النبي ﷺ ينكت فيها بعود كان بيده ويقول: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم.

وقد لقي جيش المسلمين ما لقي من الجهد والجوع في غزوة مؤتة، فسارع عثمان إلى تجهيز الطعام والمؤن من ماله الخاص للمسلمين، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني رضيت عن عثمان فارض عنه ثلاث مرات، ثم قال: يا أيها الناس ادعوا لعثمان فدعا له الناس جميعًا.

ولم يقتصر جوده وسخاؤه على عهد رسول الله بل ظل كريمًا حتى لقي ربه.

فعلى عهد أبي بكر أصابت الناس شدةٌ، فقال أبو بكر رضي الله عنه لا تمسون حتى يفرج الله عنكم، فلما كان الغد جاء البشير، فقال: قدمت لعثمان ألف راحلة تحمل برا وطعامًا، فغدا التجار على عثمان فقرعوا بابه وطلبوا منه أن يبيعهم ما عنده حتى يُسعوا به على فقراء المسلمين فقال لهم عثمان كم تربحوني على شرائي من الشام قالوا العشرة اثنتي عشرة. قال لقد زادوني، قالوا العشرة أربعة عشرة. قال لقد زادوني: قالوا: العشرة خمسة عشر. قال: لقد زادوني، قالوا: ومن زادك ونحن

تجار المدينة. قال لقد زادني الله لكل درهم عشرة ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾[الأنعام:١٦٠]، قالوا: لا نقدر على ذلك.

قال فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المسلمين.

نموذج رائع للعطاء والتضحية والقدوة في مواجهة الأزمات، هذا النموذج يُشعرنا بدورنا المجتمعي في مواجهة أزمة الاحتكار وبيّن قدرة كل إنسان على حلّ تلك الأزمة ومساعدة المحتاجين، والتخفيف من معاناتهم من خلال العديد من السُبُل لكن شريطة التسامي على حظوظ النفس والمصلحة الشخصية وتغليب المصلحة العامة.



التعايش السلمي في ظل التعددية الدينية

التعـايش السـلمي ضـرورة حياتيـة لا يسـتغني عنهـا النـاس في أي زمان ومكان، فقد شاء الله أن تكون التعددية من السنن الثابتة، وقد أراد الله تعـالى أن تتعـدد الأديـان وأن يتعـايش النـاس في سـلام، وهـذا الأمـر ينبغي استيعابه حتى ينعم الإنسـان بـالأمن والاستقرار بعيـدًا عـن ثقافـة الكراهية والتعصب والتطرف التـي تحمـل بعـض الفئـات علـى التزويـر باسم الدين فيلجأ المتطرفون والتكفيريون إلى القتل والتفجير والحرق مـن خـلال الاستدلال بالنصـوص الشـرعية زورًا وبهتانًـا ممـا أدى إلـى تشويه صورة الإسلام، وأعطى الفرصة للقول بأن هناك آيات في القـرآن وأحاديث في السنة تأمر بقتل الناس نتيجة الأعمال الإجرامية والوحشية التي تقوم بها تلك الفئات الضالة .

لقد تميز الإسلام برفضه فلسفة (الصراع)؛ لأنه يؤدي إلى أن يصرع القوي الضعيف، فيزيله، وينهي التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف الذي هو سُنَة من سنن الله في سائر المخلوقات، رفض الإسلام فلسفة (الصراع)، وأحل محلها فلسفة (التدافع) الذي هو حراك يعدل المواقف، ويعيد التوازن والعدل، مع بقاء التعددية والتعايش والحوار والتفاعل بين مختلف الفرقاء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى

ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥].

إن الإسلام لا يريد (الصراع) الذي ينهي (الآخر).

كذلك يرفض الإسلام الفلسفات التي اعتبرت القتل والقتال وإزهاق الأرواح جبلَة جُبل عليها الإنسان، وغريزة من غرائزه المتأصلة فيه.

وفي قواعد أخلاقيات دستور الفروسية الإسلامية يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو على رأس السلطة التنفيذية ـ الخلافة ـ (إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية يُوصيهم بوصايا مُهمة منها: لا تغلوا (أي لا تخونوا) ولا تغدروا، ولا تمثلوا (أي لا تمثلوا بجثث القتلى) ولا تقتلوا وليدًا)[1].

ولقد صاغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه قواعد هذا الدستور الأخلاقي للقتال والحرب، في وثيقة إسلامية، عندما أوصى قائد جيشه يزيد بن أبي سفيان وهو يودعه أمينًا على الجيش الذاهب لرد عدوان البيزنطيين في الشام، فقال في وثيقة الوصايا العشر: (إنك ستجد قومًا زعموا أنهم

(١) رواه مسلم ومالك في الموطأ.

حبسوا أنفسهم لله (الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له ... وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلًا، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن)[1].

فكانت هذه ـ (وثيقة الوصايا العشر) ـ دستور الآداب الإسلامية وأخلاقيات القتال، عندما يفرض على المسلمين القتال.

فمعيار الإسلام ودولته، في السلم والسلام أو الحرب والقتال، ليس (الإيمان) (والكفر) ولا (الاتفاق) (والاختلاف) وإنما هو التعايش السلمي بين الآخرين وبين المسلمين، أو عدوان الآخرين على المؤمنين، بالفتنة في الدين أو الإخراج من الديار.

إن أصحاب رسول الله ﷺ فهموا هذا الدين، وأدركوا اهتمامه واحترامه لإنسانية الإنسان فلم يُنقل إلينا أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ قام بتفجير كنيسة أو أوصى، أو حرض على قتل غير المسلمين سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم، إن من أهم ما يتميز به الإسلام والنصرانية واليهودية كأديان سماوية هو: احترام إنسانية الإنسان؛ لأن الله تعالى هو الذي خلقه وأرسل الرسل لهدايته وبيان دوره في إعمار الكون ودعم السلام والاستقرار والرحمة والمحبة.

(١) رواة مالك في الموطأ.

ولقد طبق المسلمون هذا المعيار في العلاقات مع المخالفين، فكان اليهود ـ بدولة المدينة المنورة ـ جزءًا من الرعية والأمة، ونص دستور هذه الدولة الإسلامية على (أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ... ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا مُتناصر عليهم، وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه...فيهود أمة مع المؤمنين...)[1].

وبالنسبة لعموم النصارى، قررت المواثيق النبوية في هذه الدولة الإسلامية الأولى: (أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم)[2].

لقد قرر الإسلام الحرية الدينية التي تحترم إنسانية الإنسان وعقله الذي ميزه الله به ـ قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة:٢٥٦]: تلك

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة د/ محمد حميد الله (ص١٦-٢١).

(٢) المصدر السابق (ص ١١١).

هـي كلمـة القـرآن الملزمـة، فلـم يكـن الهـدف أو المغـزى للفتوحـات العربية نشر الـدين الإسـلامي، وإنمـا بسـط سـلطان الله في أرضـه، فكـان للنصراني أن يظل نصرانيًا ولليهودي أن يظل يهوديًا، كما كانوا من قبل، ولـم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك، ولـم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم[١].

وقد أكدت السنة النبوية على حرمة دماء غير المسلمين فعـن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لـم يـرح رائحة الجنة، وإن ريحها تُوجد من مسيرة أربعين عامًا» رواه البخاري[٢]،وفي لفظ: «من قتل قتيلًا من أهل الذمة ..»[٣].

وعـن أبـي بكـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ «مـن قتـل معاهـدًا في غيـر حـق حـرم الله عليـه الجنـة»[٤]، وفي روايـة: «مـن قتـل رجـلًا مـن أهـل الذمـة لـم يجـد ريـح الجنـة، وإن ريحهـا ليوجـد مـن مسيرة سبعين عامًا»[٥].

---

(١) حقائق وشبهات حول الحرب الدينية – د. محمد عمارة (١٦٠– ١٦٨).
(٢) في صحيحه (٣/ ١١٥٥).
(٣) رواه أحمد والنسائي.
(٤) رواه أحمد وأبو داود، والنسائي، والحاكم وصحح إسناده.
(٥) رواه النسائي.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»[1].

إن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[2].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله ﷺ: «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[3].

وكان النبي ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في مجتمع يحكمه قانون واحد، فقد كان يقترض منهم نقودًا ويرهنهم متاعًا، ولم يكن ذلك عجزًا من أصحابه عن إقراضه. فإن بعضهم كان ثريًا، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله، بل كان يفعل ذلك تعليمًا للأمة، وتثبيتًا عمليًا لما يدعو إليه من سلام ووئام،

(١) رواه ابن ماجة والحاكم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الخطيب البغدادي كما في (كنز العمال): (٤/ ٣٦٢) وأشار السيوطي في (الجامع الصغير) إلى حُسنه.

وتـــدليلًا علـــى أن الإســـلام لا يقطـــع علاقـــات المســـلمين مـــع مواطنيه من غير دينهم.

وكان عمر بن الخطاب بالشام، وقد حانت الصلاة وهـو في كنيسـة القيامة، فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها، وهمّ أن يفعل، ثـم اعتـذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسـلمون فيما بعـد أنها مسـجد لهم، فيأخذوها من النصارى.

وكتب للمسلمين كتابًا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها إلا واحدًا واحدًا، غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين[1].

إن هـــذه ليســـت ســـماحة فحســـب ، وإنمـــا هـــي ســـماحة مضـاعفة تتخطـى الحاضـر إلـى المسـتقبل، سـماحة مضـاعفة تنبـع مــن نفــس طــاهرة، وتعتمــد علــى بصــيرة نفــاذة بعيــدة المرمــى، ســماحة مضــاعفة لأن صــاحبها لا يعتمــد علــى ســماحته وحــده، ولا علـى تحللـه مـن التبعـة وحـده، إنمـا يريـد ممـن يجيئـون بعـده طـال الزمن أو قصر أن يكونوا سمحاء مثله .

وبينمـا هـو يسير بالشـام لقيـه قـوم مـن نصـارى أذرعـات يلعبـون بالسيوف والريحان أمامه ، كما تعودوا أن يفعلوا في الاحتفال بالعظماء، فقال «ردوهم وامنعوهم»؛ لأنه كان يكره الأبهة ومظاهر الملك . فقـال

(١) تاريخ الطبري ٤/ ١٦٧ .

أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين ، هذه عادتهم ، وإنك تمنعهم يروا أن في نفسك نقضًا لعهدهم، فقال عمر «دعوهم ، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة».

أعرفت لماذا استجاب عمر لرأي أبي عبيدة ؟ لقد خشي أن يظنوا أنه مبغض لهم ، عازم على نقض عهده معهم، وبحسبه من السماحة أن احتمال هذا الظن وحده جعله يغير من عادته، فرضي أن يلعبوا أمامه بالسيوف والريحان .

ومر برجل يسأل على الأبواب، وكان الرجل شيخًا ضريرًا فقال له عمر:

من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي. قال عمر: فما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. ووضع عنه الجزية[1].

وكذلك كان ابنه عبد الله، حدث مجاهد قال: كنت عند عبد الله ابن عمر وغلام له يسلخ شاة، فقال يا غلام: إذا سلخت فابدأ بجارنا

(١) الخراج لأبي يوسف ٧١ .

اليهودي . وقال ذلك مرارًا، فقال له: لم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه[1] .

إن الإسلام بتعاليمه السمحة يرسخ لثقافة التعايش السلمي في ظل التعددية الدينية، فلقد اتسع المجتمع الإسلامي على عهد رسول الله ﷺ ومن بعده على مر العصور الإسلامية لجميع الأديان، وكفل عمليًا حرية الإنسان غير المسلم في ممارسة شعائر دينه، وليس ذلك فحسب بل عمَّق الصلات الاجتماعية والثقافية والفكرية وغير ذلك بين المسلمين وأهل الكتاب من النصارى واليهود وأرباب الملل الأخرى ليتعايش الناس في سلام وأمان.



(١) سماحة الإسلام، د/ أحمد محمد الحوفي، ١٨٤-١٨٥ .

العنف بين الأسباب والعلاج

تفشت ظاهرة العنف في حياتنا بشكل أدى إلى نوع من التوتر النفسي والعصبي لدى شرائح المجتمع نتيجة ما يحدث في البيوت والشوارع والمدارس ووسائل المواصلات وعدد غير قليل من ميادين الحياة، الأمر الذي جعل الباحثين والمتخصصين يبحثون عن الأسباب التي أدت إلى ظهور العنف في حياتنا وكيفية علاجه .

إن تردي الحالة الاقتصادية ساعد على انتشار العنف ؛ لأن الفقر يؤثر بشكل مباشر على سلوكيات الإنسان، خاصة في غياب الوازع الديني والأخلاقي كما أن الأوضاع الاجتماعية وزيادة نسبة الأمية وانتشار الجهل والمرض يُسهم في بروز مظاهر العنف في الحياة، ولا شك أن طرق التعبير عن العنف تختلف باختلاف الأشخاص واستعداداتهم وميولهم العدوانية، فقد يُعبَّر عن العنف بالنظر أو بالكلام، أو بالسلوك الذي يتباين حسب المواقف والأطراف .

فيظهر العنف في صور السبّ والتعدي بالضرب، وقد يصل إلى سفك الدماء أو انتهاك الأعراض أو السطو المسلح، أو غير ذلك .

ولا شك أن البطالة تعد من أخطر المشاكل التي تواجه معظم دول العالم، ولاسيما الدول الفقيرة، حيث تؤدي إلى كثرة الحوادث المختلفة من الاعتداء على الآخرين ؛ لأن البطالة تجعل الشخص

يعيش حالة من الفراغ النفسي والفكري ؛ والفراغ لا ينبت إلا المفاسد والشرور .

وقد قال الإمام الشافعي ﵁: إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل.

وقال «ديل كارينجي»: إننا لا نحسب أثرًا للقلق عندما نعكف على أعمالنا، ولكن ساعات الفراغ التي تلي العمل هي أخطر الساعات[1].

إن من أبرز أسباب العنف في حياتنا ظهور جماعات الإرهاب والعنف وما تقوم به من أعمال إجرامية، وهناك جملة من الأسباب التي أدت إلى انتشار العنف ويجدر بنا أن نذكر أبرزها فيما يلي :

- انتشار المفاهيم المغلوطة والترويج لها باسم الدين مثل: «التكفير - الجهاد - الخلافة - الدولة الإسلامية - دار الإسلام ودار الحرب - الولاء والبراء وغير ذلك من المفاهيم التي تعمل التيارات الفكرية المنحرفة على تسويقها عبر وسائل التواصل الاجتماعي».

- الأمية الدينية وآثارها الخطيرة على فهم الدين بطريقة منحرفة تنم عن ضيق الأفق وانعدام الثقافة مما يؤدي إلى المفاهيم السقيمة

(١) مشكلة البطالة وعلاجها - دراسة مقارنة بين الفقه والقانون - د/ جمال حسن عيسى، ١٦٩-١٧٠ .

للدين وتقديمها للناس بحسبانها دينًا، ويصاحب ذلك حالة من عدم قبول النقد لصور التدين، ويظن هؤلاء أن النقد لفهمهم للدين كأنه نقد للدين مع الفرق الواضح بين الدين الذي هو من عند الله ـ تعالى ـ وبين المفاهيم البشرية القاصرة والمتفاوتة، والتي هي محل للنقد والقبول والرد مهما كان مصدرها، فلا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ.

– ضعف ثقافة الحوار وآدابه ولعل هذا يحكي حالة من ضيق الأفق وأحادية التفكير والمذهب، وعدم قبول التعددية الدينية والمذهبية والفكرية نظرًا لترسخ الرؤية الأحادية في نفوس فئات معينة من الناس ومحاولة فرضها وإنكار ما عداها .

– عدم فهم سنة الاختلاف والتنوع كسُنّة إلهية تتحقق معها عملية التعارف التي أرادها الله تعالى ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾، ولاشك أن عدم الفهم لهذه السُنّة يؤدي إلى رفض الآخر وعدم الاعتراف به، ويُترجم ذلك في الأقوال والسلوكيات وردود الأفعال.

– رفض النقد الموضوعي، وعدم قبول الرأي الأخر، وادعاء امتلاك الحقائق.

– عدم فهم ثقافة المواطنة وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وإدراك قيمة ومكانة الوطن التي تملي على الإنسان أن يؤمن بالتعايش السلمي واحترام الآخر وقبوله .

- ضعف فرص التنمية وانعدام المشاريع التي تستوعب كمًّا كبيرًا من الأيدي المتعطلة وضعف التنمية جسرًا للفقر والمرض وانتشار الجهل في المجتمعات، فيكون بيئة حاضنة للعنف بجميع أشكاله، ويعطي الفرصة لمن يستغل تلك الظروف، ويستخدم المساعدات في استقطاب الفقراء والمعوزين، ويحملهم حملًا على اعتناق فكر معين لتنفيذ أجندات خاصة .

- ضعف الاهتمام بالشباب وعدم الاهتمام بتأهيلهم أو تدريبهم أو محاولة فرزهم لاكتشاف ذوي المواهب أو القدرات واستثمار طاقاتهم وتوفير فرص العمل المناسبة لهم، وبالطبع فإن شعور الشباب بأنه طاقة معطلة وغير مستثمرة يجعلهم مهيئين للانخراط في دروب العنف المختلفة.

إن ما ذكرناه آنفا يُعد من أبرز أسباب العنف التي نرى مظاهرها المختلفة في حياتنا، مما يوجب علينا جميعًا، مؤسسات وأفراد أن تتضافر جهودنا في علاج هذه الأسباب المؤدية للعنف وغيرها، وأن نعمل من خلال المنهج الوقائي أيضًا؛ لأن الوقاية خير من العلاج.

ولذا فإننا نرى في ضوء ما سبق ذكره مناسبة لتقديم بعض الحلول لظاهرة العنف من خلال ما يلي:

- العمل على تحسين الأحوال الاقتصادية للمواطنين، خاصة في المناطق الفقيرة والمعدمة، والاهتمام بها حتى لا يشعر أهلوها أنهم مهمشون، وإشعارهم بقيمتهم كمواطنين، وتقوية الانتماء للوطن في نفوسهم من خلال تقديم الخدمات الضرورية.

- الاهتمام بتحسين التعليم من خلال المدارس، وتفعيل القيم الأخلاقية، والاهتمام بالسلوكيات، والعمل على تخفيف العبء عن المواطن؛ بتوفير فرص العلاج من خلال دعم مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني لعملية علاج المواطنين .

- العمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتفنيد الشبهات، وبيان حقائق الإسلام ومعالم السماحة والوسطية فيه من خلال منهج الأزهر الشريف في احترام التعددية الدينية والمذهبية والثقافية واحترام الآخر، إن المبادرة التاريخية الكبيرة التي دعا إليها الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د/ أحمد الطيب رئيس مجلس حكماء المسلمين لحل مشكلة المسلمين في ميانمار (بورما) واستضافة وفد (ميانمار) المكون من المسلمين والمسيحيين والبوذيين والهندوس في رحاب الأزهر الشريف وإجراء حوار حضاري إنساني من خلال المشتركات الإنسانية في الإسلام والمسيحية والبوذية والهندوسية وما في الأخيرتين من إيجابيات وقيم أخلاقية تكون منطلقا للتغلب على عمليات العنف

المسلح والتصفيات الجسدية للمسلمين في ميانمار وتعد هذه المبادرة خطوة عملية على طريق الحل ومعالجة العنف والتصفيات العرقية .

- السعي في توفير فرص العمل المناسبة، وتطوير المناطق العشوائية والاهتمام بالشباب، وفتح قنوات عملية للحوار معهم واكتشافهم، وعمل برامج فاعله في التدريب والتأهيل، وقد سعت الدولة بشكل عملي لحل تلك المشكلات من خلال المؤتمر الوطني الأول للشباب في شرم الشيخ، وما تمخض عنه من توصيات كُلِّفَت أجهزة الدولة بالعمل على تنفيذها، وكذلك انعقاد المؤتمر الوطني الثاني للشباب في نهاية شهر يناير ٢٠١٧م لأجل مواصلة الجهود في حل مشاكل البطالة، وتفعيل دور الشباب في هذه المرحلة الراهنة التي تتطلب تعميق الانتماء للوطن في نفوسهم.

لا شك أن السعي في معالجة أسباب العنف سوف يؤدى إلى انحساره وتلاشيه واستقرار الحياة والمضي قدما في مسيرة التقدم ومواجهة التحديات التي يمر بها الوطن.



حاجة المجتمع إلى قيمة الرحمة

إن القيم تصنع النسق الأخلاقي للشخصية التي يهدف الإسلام إلى صناعتها؛ ولذا بعث الله تعالى نبيه لأجل غايات مهمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: ٢].

إن تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان وتعليم المؤمنين من المهام الجليلة التي قام بها النبي ﷺ، وما يتحقق ذلك إلا بتعليم القيم الأخلاقية وتربية الناس عليها قال ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ»[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]

والرحمة من القيم العليا في الإسلام؛ وهي من صفات الله تعالى:

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦].

وما من نعمة أنعم الله بها على عباده ـ عامة كانت أم خاصة ـ إلا وهي أثر من آثار رحمته فالصحة، والمال، والزوجة، والأبناء الصالحون من رحمة الله .

(١) مسند أحمد رقم (٨٧٥٣) .

إن الله يحب من عباده أن يكونوا على صفته، رحماء فيما بينهم، فيعطف كبيرهم على صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويواسي غنيهم فقيرهم، ويعين قويهم ضعيفهم، ويرشد عالمهم جاهلهم، ويرى الأبناء رحمة الآباء، والتلاميذ رحمة المعلمين، والمرضى رحمة الأطباء .

- وكما أوجب الله تعالى على الإنسان أن يرحم أخاه الإنسان، أوجب عليه أن يرحم الحيوان لأن الرحمة أثر من آثار الإيمان(١)، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٢)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»(٣).

والإسلام لم يبن المجتمع بالتشريع وحده، وإنما بناه من خلال التربية وتحويل العبادات إلى قيم تسمو بالإنسان وسلوك يزكى النفس.

إن سنّ القوانين والتشريعات يحتاج إلى نوع من التأهيل والتربية الأخلاقية للمجتمع حيث تُعد تلك التربية من الضمانات العلمية التي تعمل على احترام القوانين والتشريعات .

(١) من توجيهات الإسلام، الشيخ محمود شلتوت، ٣٥٨-٣٦٠ .
(٢) سنن الترمذي «كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ» باب ما جاء في رحمة المسلمين رقم ١٩٢٤.
(٣) متفق عليه .

إن الإسلام لم يأت فقط لعلاج المنحرفين، بل ركز على تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق .

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن:١-٢] لماذا لم يقل الجبار أو القهار وقال: الرحمن، حتى يعلمنا أن التعليم والتربية لا يقومان على الإكراه أو القهر أو التعالي أو التحقير أو غير ذلك من الأساليب الخاطئة في التعليم .

وإنما يقوم التعليم على الرحمة بين العالم والمتعلم والخاصة والعامة والأساتذة والتلاميذ بين الآباء والأبناء؛ لأن التعليم والتربية بحاجة إلى الحب والرأفة والرحمة والمودة.

إن قيمة الرحمة تحتاج إلى من يفهمها ويبلورها في مجال العلاقات الإنسانية والحياتية في مجال التوجيه والدعوة وفي الخطاب الذي يُوجَّه للآخر؛ ولذا فإن قيمة الرحمة تحتاج إلى بلورة وترجمة عملية في محيط الأسرة في التعامل مع الأولاد، دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ فرآه يقبل الحسن والحسين، فقال تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة[1] .

(١) متفق عليه .

عندما تقبل ابنك أو ابنتك تشعره بالمودة والحنان والدفء وتشبع رغبة وحاجة بداخله مما يسهم في تنشئته تنشئة سويّة، ويَجعل شخصيته إيجابية ينشأ وهو مُحب للحياة والأحياء، وهو يستشعر قيمة الرحمة.

إن التعامل مع الكبير يحتاج إلى الرحمة التي تتمثل في مظاهر عدة لعل من أبرزها: احترامه وتقديره، وإكرام ذي الشيبة، وإنزال الناس منازلهم.

والرحمة تُملي على الإنسان احترام الكبير والصغير، والحرص على معاملة الناس بما يحب أن يعاملوه به.

إن حاجة المجتمع اليوم إلى استعادة منظومة القيم، تملي علينا أن نتعاون في إحياء الفضائل، إن نبي الله موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[القصص: ٢٣].

كان المجتمع آنذاك يقوم على القوة والبطش لا يقيم وزنًا للمرأة، فهي مهضومة مظلومة.

ماذا فعل موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ

﴿ٱلرِّعَآءُ﴾، لقد بدأ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفسه فتولى مهمة التصدي للواقع ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ وهذا يؤكد على دور العلماء والدعاة أن يبادروا إلى تحويل القيم إلى سلوكيات عملية، إن التغيير في الأنماط السلبية في التعاملات الحياتية يحتاج إلى شجاعة وإقدام وأخذ لزمام المبادرة، فأنت بصفتك إنسان أليس لك بنات أو بنات أخ أو بنات أخت؟ أليس لك جار أو إنسان تعرفه أو شخص مات وترك بناته أو أولاده؟ هل لك أن ترعى أو تسهم في رعاية هؤلاء، أو تقدم لهم معونة أو تسهم في علاج مريض أو تصحيح فكر إنسان ضال؟ أليس بإمكان الإنسان أن يرحم من حوله من الناس حسب أحوالهم؟ ماذا فعل سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سقى لفتاتين «ابنتي شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ»، إن أبواب الخير مفتوحة على مصارعها[1]، فباستطاعة الإنسان أن يتراحم وأن يساعد في إحياء قيمة الرحمة؛ لأن حياتنا التي نحياها غاضت فيها ينابيع الرحمة والمودة حتى الزواج الذي جعله الله للسكن والمودة والرحمة، تحول إلى عملية ميكانيكية في حياة فئات غير قليلة من الناس لا مجال فيها لقيمة الرحمة بكل معانيها سواء بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء، عملية متبادلة، جفاء وقسوة، جزر منعزلة، صلات تقوم على تلبية الاحتياجات المادية بالدرجة الأولى.

(١) التفسير المختصر د. محمد راتب النابلسي .

في حالات كثيرة تبدو سلوكيات الإنسان في البيت وفي الشارع وفي العمل تفتقد إلى معاني الرحمة، والواجب التخلق بخلق الرحمة سواء في مجال التعامل مع عالم الإنسان أم عالم الحيوان أم عالم النبات والبيئة بكل ما فيها .

إن الرحمة التي أرسل النبي ﷺ لتحقيقها عمّت جميع المخلوقات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وينبغي أن يكون المسلم رحيمًا حتى مع المخالفين فيتمنى الهداية لهم؛ لأنه ليس من الرحمة أن ندعو على المخالفين في الدين، أو نلعنهم، أو نتمنى لهم المصائب، إننا بحاجة إلى حوار موضوعي تتجلى فيه آثار الرحمة من خلال التركيز على المشتركات الإنسانية، وليس على العقائد؛ لأن اختلاف الناس إرادة إلهية وسنة من سننه سبحانه، ولو أراد الله أن يجمع الناس على دين واحد، أو مذهب واحد، لفعل، ولكن شاء الله أن يختلف الناس، اختلاف تنوع وثراء وتعدد، مما يؤكد الحاجة إلى جعل الاختلاف سبيلًا للرحمة وللائتلاف بدلًا من الخلاف والتعصب والغلو والتطرف الذي أخذ فئات من الناس إلى التكفير والتفجير والتفسيق والتبديع.

إن قيمة الرحمة تحتاج إلى فهم يحولها إلى سلوك يمنع الناس من ردودهم على بعضهم واختلافهم في مسائل فرعية تتحملها دلالات النصوص.

إن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا سواء على مستوى العلاقات في محيط الأسرة أو ميادين الحياة.

ولذا جاءت مبادرة الأزهر الشريف والكنيسة المصرية نتيجة رؤية الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د/ أحمد الطيب وقداسة البابا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في أهمية تعزيز القيم والأخلاق ودعوة جميع مؤسسات الدولة والعلماء والمفكرين والأدباء والفنانين لاستعادة منظومة القيم في المجتمع المصري الذي يعتز بتاريخه الحضاري واحترامه للتعدد والتنوع؛ لأن مسيرة التنمية التي يمضي فيها الوطن بحاجة إلى سياج من القيم الأخلاقية التي تحميها وتدعمها، فما أحوجنا إلى الرحمة والمحبة!.



بناء شخصية المرأة في نظر الإسلام

ينظر الإسلام إلى المرأة نظرة متميزة تليق بمكانتها وبالمهام المتعلقة بها في المجتمع ودورها في بنائه.

فعلى قدر تربية المرأة ومتانة أخلاقها يكون البناء في الأبناء! وما العظماء الخالدو الذكر إلا أبناء نساء جليلات القدر ! رفيعات المنزلة ! كريمات المنبت!! . ذلك أن الزوجة والأم شريكة لزوجها في تربية أبنائه.

وما من عظيم مهما سمى قدره إلا وهو ابن امرأة شريفة عظيمة!! وهو بحكم بنوته لها مجبول ومأمور بطاعتها وحبها.

وما من رجل متزوج يمكن أن يرقى إلا ولزوجته نصيب فعال فيما حققه وكما قيل وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة، ولم يُقولوا وراء كل امرأة عظيمة رجل عظيم، وذلك لمكانة ومنزلة وتأثير المرأة الإيجابي في حياة الرجل السويّ !! وما من رجل يمكن أن يفوز أو ينجح إلا ولأمه النصيب الأكبر فيما وصل إليه، فهو ليس إلا بضعة منها!! .

إنه منذ اللحظة الأولى لانبثاق نور الإسلام ظهر للعالم جليًا دور المرأة الذي كان له الأثر البالغ في تأييد هذا الدين ونصرته، فما كادت المرأة تسمع نداء الإسلام حتى استجابت،

وآمنت بهذا الدين الذي جعلها الله فيه من شقائق الرجال، إن أم المؤمنين السيدة خديجة هي أول من آمن من النساء بالنبي ﷺ، ونصرته في دعوته وآوته وواسته بمالها وصبرت معه، فكانت نعم الزوجة التي تؤازر زوجها، كما أن أول شهيدة في الإسلام هي سُميّة أم عمار بن ياسر رضي الله عنها، لاقت في سبيل الجهر بدينها، والدعوة إليه صنوف العذاب، فما زادها إلا ثباتًا وإيمانًا، ثم استشهدت مؤمنة صادقة محتسبة !!! .

وكثيرًا من أبطال الإسلام لم يتم إسلامهم إلا على يد امرأة كسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، الذي تسببت في إسلامه مولاة عبد الله بن جدعان، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني اعتنق الإسلام على يد أخته فاطمة رضي الله عنها، وأبي طلحة الذي خطب أم سليم بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنها بعد وفاة زوجها فطلبت أن يكون صداقها إسلامه فأسلم على يديها وتزوجها!!![1] .

كما أن أم سلمة رضي الله عنها تميزت برجاحة عقلها وحكمتها في المواقف الحاسمة والفارقة، وكيف كان لرأيها الحكيم آثار طيبة ومحمودة؟ حينما أشارت على النبي ﷺ بذبح هديه وحلق شعره أمام

(١) شخصية المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، د. خالد عبد الرحمن – ص ٥٥ .

جموع المسلمين ليقتدوا به، لا زالت مضرب المثل في رجحان عقلها وفضلها وذكائها[1].

وفي رواية النصوص نجد كثيرات من نساء روين الأحاديث والأخبار، وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين .

ومن يقرأ التاريخ الإسلامي يجده حافلًا بأخبار نساء المسلمين اللاتي بلغن من العلم درجة رفيعة ومكانة عالية، فكان منهن الراويات والمحدثات والأديبات والشاعرات والفقيهات مما يدل دلالة بالغة على الوزن العلمي والاجتماعي للمرأة في الإسلام.

فقد بلغ عدد راويات الحديث عن رسول الله أربعمائة وإحدى عشرة راوية حديث (٤١١)، وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بلغ ما روته ألفين ومائتين وعشرة أحاديث (٢٢١٠)، وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها روت ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا (٣٧٨)[2].

ولكن مع ما حظيت به المرأة من منزلة علمية وريادة فكرية إلا أنه ينبغي الاعتراف أن قضية المرأة وأبعاد دورها في المجتمع والحياة ما يزال من الثغور المفتوحة في الفكر الإسلامي، ومن أسباب ذلك -

(١) شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي – حسني شيخ عثمان – العدد ١٧٩ من سلسلة رابطة العالم الإسلامي – ص٤٥ .
(٢) محمد والمرأة – د. سامية ميسي – ص ١١٧ – ١١٩ .

العجز عن التعامل مع الواقع وتقويم مسيرته من خلال القيم الثابتة الواردة في الكتاب والسنة فيما يتعلق بوضع المرأة وكونها شريكًا للرجل لا تفاضل بينهما إلا بالعمل الصالح، إننا ما زلنا بشكل عام وفي هذه القضية بشكل خاص، نراوح في مواقع الفكر الدفاعي، وما يزال معظم اهتمامنا في قضية المرأة يدور حول الحجاب وتعدد الزوجات والإرث والشهادة، وما نزال نُبدي ونُعيد في هذه القضايا وكأننا نشعر أننا لم نكن مقتنعين بعد، وهذا يعني أننا ما نزال مستمرين في حالة التراجع .

كما أنه لابد من الاعتراف أيضًا أننا أُتينا من قِبل المرأة، بسبب عجزنا عن كيفية التعامل معها، وإعطائها ما أعطاها الله، وتنمية شخصيتها، وتطوير وظيفتها، ووضع الأوعية الشرعية لحركتها وممارسة دورها في الحياة.

لقد انشغلنا بأمر الدفاع عن المرأة وبيان حقوقها ومكانتها في الإسلام عن بناء شخصيتها، واستيعاب دورها واستشراف المستقبل الذي ينتظرها، والقدرة على استلهام قيم الوحي واستيعاب الواقع لتوليد الفقه المناسب لحركتها وممارستها الشرعية.

إن من مشكلات المرأة أن القيم المتحكمة في وضعها وحركتها في كثير من بلدان العالم الإسلامي هي التقاليد الاجتماعية البالية، التي

لا تخلو من جاهليات لا جاهلية واحدة، وليس التعاليم والقيم الشرعية في الأعم والغالب، وإن هذه التقاليد مشبعة بصور من الوأد الثقافي أو الوأد المعنوي بشكل عام، فهناك العضل في الزواج واشتراط بعض العائلات الزواج من نفس العائلة وإلا تظل المرأة عانسًا حتى تموت، إن هذا من أشد أنواع القتل أن تحرم البنت من الزواج بسبب التقاليد الجاهلية أو تحرم المرأة من ميراثها أو يتعامل معها على أنها عورة يجب أن تُستر، أو تكون النظرة إليها من منطلق الشهوة والمتعة الحيوانية ولا ينظر إلى عقلها أو مواهبها فضلًا عن استخدام أنواع العنف ضدها مما يؤدي إلى القتل المعنوي بسبب الموروث الثقافي في المجتمع وما يروج له الفن الهابط من روايات ومسلسلات لا تعبر عن الواقع الحقيقي للشرفاء.

إن هذا الوأد المناقض للخلق، المعاند للفطرة والمخالف لقيم الوحي وتعاليم الشرع، أحدث فراغًا ثقافيًا واجتماعيًا، مكّن لامتداد (الآخر) بكل موروثاته الثقافية والفكرية، وأحدث تمردًا وخروجًا عن القيم الخلقية .

ولو أننا استشرفنا المستقبل بشكل صحيح، وأعطينا المرأة ما أعطاها الله، وطورنا رؤيتنا لهذا العطاء ضمن الضوابط الشرعية، واعترفنا بدور المرأة الذي كلفها الله به، وتجاوزنا التقاليد الجاهلية إلى

التوجيهات الإسلامية، لما صرنا إلى ما نحن عليه، ولشكل الإسلام عقيدة واختيار للمرأة وامتيازًا لها عن غيرها في الثقافات الأخرى[1].

أهمية بناء شخصية المرأة:

إن الواقع الذي يُهمّش المرأة وينظر إليها نظرة دونية على أنها أقل كفاءة من الرجل، ويقلل من شأنها يفرض علينا أن نبحث في عملية بناء شخصيتها والتأكيد على أنها شريك قوي في بناء المجتمع وتربية الأجيال، وإعداد الشباب لتحمل المسؤولية في بناء الوطن .

لقد قدمت الأم العربية المسلمة أروع الأمثلة في التاريخ الإنساني، في الجهاد والتضحية وعظيم الصبر عند البلاء والمحن، فتلك هي الخنساء وقد رفعها التاريخ وخلّد اسمها في صفحات الأمومة الغالية بما أخرجت على يديها من رجال أفذاذ وأبطال صناديد !! فقدمت أبناءها الأربعة في معركة القادسية راضية النفس، قريرة العين، فكان مما أوصتهم به قولها :

((يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، وامرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، وما غيرتُ نسَبكم! واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية،

---

(١) مقدمة د. عمر عبيد لكتاب : دور المرأة في خدمة الحديث النبوي في القرون الثلاثة الأولى ص ١٦ – ١٧، د. آمال الحسين – كتاب الأمة العدد (٧٠) .

اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون!!! فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها، وجللت نارًا على أوراقها، فيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة))!!!.

فلما كشّرت الحرب عن نابها تدافعوا إليها وتوقعوا عليها، وقدموا أرواحهم فداء لنصرة دين الله وإعلاء لكلمته، فكانوا عند ظن أمهم بهم حتى قتلوا واحدًا بعد واحد!!! .

ولما وافتها الأخبار باستشهادهم لم تزد على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعًا، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته !!![(١)].

إن الأم هي التي تصنع الأبطال المخلصين الذين يقدمون أرواحهم فداء للوطن، والأمر بعبارة أخرى صيانة تراب الوطن ثمرة لتربية الأم لأبنائها على قيم الانتماء والولاء، وإن الثقة وقوة شخصية المرأة جعلت أمهات المؤمنين قدوة وأسوة في شتى مجالات العطاء والبذل .

لقد وصفت عائشة بعلمها الذي بلغ ذروة الإحاطة البشرية والنضج الكامل بكل ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه

(١) شخصية المرأة في الكتاب والسنة، د. خالد عبد الرحمن ص ٥٨ – ٥٩ .

حتى ذهب الحاكم في مستدركه إلى أن ربع أحكام الشريعة نقلت عنها[1]، لذا قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا»[2].

وكانت في تاريخ الفكر الإسلامي معلمة العلماء ومؤدبة الأدباء. فعن عروة بن الزبير أنه قال لعائشة: «يا أمتاه لا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو فضربت على منكبه وقالت: أي عرية إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره فكانت تقدُم عليه وفود العرب من كل جهة فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها له فمن ثم»[3].

يقول ابن عساكر: إن عدد شيوخه من النساء ثمانون امرأة[4].

وذكر البلاذري في فتوح البلاد أن نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة يبلغ عدد المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال الكتاب .

(١) انظر : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني ١/ ٦ .

(٢) أخرجه الترمذي وصححه في كتاب المناقب، باب فضل عائشة رقم (٣٨٨٣) ٥/ ٧٠٥ .

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٤٤٢٥) ٦/ ٦٧، والحاكم في المستدرك رقم (٦٧٣٧) ٤/ ١٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢ / ٥٠، المبادئ العامة لمكانة المرأة في الإسلام: ص ٥٠ .

(٤) انظر: مرآة الجنان لأبي محمد : عبد الله اليافعي ٣ / ٣٩٦، وطبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة ٢/ ١٣ .

وأقبلت النساء منذ فجر الدعوة الإسلامية على العلوم ، وبرز منهن الكثيرات ، حتى إن الإمام ابن سعد ترجم في كتابه «الطبقات الكبرى» لـ (٧٠٠) سبعمائة امرأة روين الحديث ونحوه.

وكذلك الإمام ابن حجر العسقلاني ترجم في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» لـ (١٥٤٣) ألف وخمسمائة وثلاثة وأربعين امرأة من المحدثات .

أما الإمام المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي فقد ترجم في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» لعدد كبير من النساء اللاتي حرصن على التعلم والعناية بالفقه والحديث ، وخصص مجلداته الستة لتراجم النساء.

والأمر نفسه في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ، وفي «تهذيب الأسماء واللغات» للسخاوي وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان ... وغيرهم كثير.

بل إن كثيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين والمؤرخين البارزين كان من مشايخهم بعض النساء، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

نقل الإمام السيوطي في مناقب الإمام ـ أبي حنيفة رحمه الله ـ أن الإمام قال: لقيت من أصحاب رسول الله أنس بن مالك، وعبد الله بن جزء الزبيدي، وجابر بن عبد الله ، ومعقل بن يسار ، وواثلة بن الأسقع ، وعائشة بنت عجرد ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ.

والإمام الذهبي (ت٤٧٨هـ) المؤرخ الشهير له كتاب اسمه «معجم شيوخ الذهبي» أورد فيه طائفة من أسماء النساء، وهن (٨٣) ثلاث وثمانون امرأة أخذ الذهبي عنهن علوم الحديث والتاريخ والسيرة والفقه ونحوها.

لقد أعطى الإسلام المرأة حقها في الكرامة الإنسانية، وأثبت استقلال شخصيتها وإرادتها كما أثبت حرية تصرفها في ملكيتها حتى أن المرأة أدت دورها بشخصيتها المستقلة وإرادتها الكاملة فتكلمت مطالبة ومدافعة عن حقوقها، وأهدت أهل مودتها، وتصدقت من مالها وخرجت لتعمل في أرضها، فعلت كل ذلك ولم تحتجب وراء الأولياء والأزواج، فعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنْ النَّبِي ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوَفَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ»[1].

أم سليم بنت ملحان تهدي رسول الله ﷺ يوم عرسه وذلك باسمها لا باسم زوجها:

---

(١) صحيح البخاري «كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها» باب هبة المرأة لغير زوجها.

قَالَت أم سليم: يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ(١).

أسماء بنت عميس تحاور عمر بن الخطاب ثم رسول الله ﷺ، ثم تروي قصة الحوار في الهجرة، وذلك دون حضور زوجها، وربما حضر المرحلة الأخيرة فحسب:

قَالَ عُمَرُ لأَسْمَاء: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْكُمْ فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا بِالْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رسوله ﷺ، وَأَيْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ الله ﷺ فقَالَ لها رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ».

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا(٢) يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

وإذا كانت الشريعة تقرر حق الأولياء والأزواج في المشاورة وتقرر وجوب طاعة المرأة وليها وزوجها في المعروف ـ وذلك لتوثيق

(١) صحيح مسلم «كِتَاب النِّكَاحِ» بَاب زَوَاجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَنُزُولِ الْحِجَابِ وإثبات وليمة العرس، ج٤، ص١٥٠ .
(٢) صحيح البخاري «كتاب المغازي» باب غزوة خيبر رقم ج ٩، ص ٢٤ .

العلاقات الاجتماعية وترابط الأسرة ووحدتها ـ فإن المشاورة والطاعة في المعروف لا تعنيان أن المرأة إنسان قاصر، وتفرض عليها ـ لذلك ـ الوصاية من الأولياء والأزواج، فالمشاورة مطلوبة ومحمودة من عامة رجال الأمة ونسائها. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[الشورى:٣٨]، وما دامت الطاعة في المعروف فقد استقام حال كل آمر وكل مأمور، وعندها تمضي سفينة الأسرة رُخاءً، وتنجح مؤسسات المجتمع، وتنهض أمة المسلمين.

ولكن حين يفرض الأولياء والأزواج غير المعروف تسوء الحال وتنذر بشر مصير؛ لذا كان من الواجب أن يُرَدُّوا جميعًا إلى المعروف بأمر من الله تعالى وأمر من رسوله ﷺ[1].

إننا بحاجة إلى تغيير حقيقي في النظرة إلى المرأة سواء أكانت بنتًا أم أختًا أم زوجة.



(١) شخصية المرأة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٤-٦٦ .

ماذا يعني الإسلام

من الأهمية بمكان أن يكون معنى الإسلام واضحًا في أذهان جميع المنتسبين إليه؛ لأن عدم الوضوح فتح الباب أمام أدعياء الإسلام والمتاجرين به أن يستغلوا عواطف الشباب وحماسهم ليمرروا مشاريع التضليل باسم الإسلام عبر شعارات ولافتات مختلفة.

إننا حينما نتأمل في معنى الإسلام نجد أن السلام والأمان من أبرز معانيه، وقد حرص النبي ﷺ على بيان هذا المعنى في قوله «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[(١)].

هذا الحديث يُبيّن حقيقة المسلم ويبين معالم الإسلام في حياته. وبعيدًا عن الاستطراد أو البيان لحقيقة المسلم نود أن نؤكد على معنى «سلم المسلمون»، فقد يؤدي المسلم العبادات ويحافظ عليها ويجتهد فيها، لكنه في نفس الوقت قد يؤذي المسلمين بسوء فهمه للإسلام، أو تديّنه المغشوش الذي يتوهم أنه الإسلام الحقيقي؛ ولذا فهو يؤذي المسلمين بفهمه المغلوط الذي يعمل على إكراه الناس على قبوله، وبنشر التعصب والغلو والتطرف والمفاصلة الشعورية للمجتمع وتكفيره، ويختزل الإسلام في قضايا فرعية.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه، حديث رقم ١٠.

إن الإسلام يعني ـ من جملة ما يعنيه ـ: السلامة من شرور الإنسان، من شر لسانه وفكره المنحرف؛ ولذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[(١)].

إن هؤلاء الذين يسلكون مسلك التكفير ويحاولون نشر سمومهم باللسان وبالدعم المالي والتخطيط لمشاريع تدمير الأوطان والحياة والأحياء أو بإنتاج وإخراج الأفلام والفيديوهات التي تتحدث عن الجهاد في الإسلام بفهم مغلوط، وبانتقاء غير مقبول لتبرير التكفير والتفجير بدعاوى مختلفة منها: الولاء والبراء، وتطبيق الشريعة، وإقامة الخلافة، وغير ذلك من الشعارات التي أدت إلى استقطاب فئات من الشباب واستغلال عواطفهم وحماسهم؛ لينحازوا إلى هذا الفكر المنحرف البعيد عن معنى الإسلام؛ ليستبيحوا دماء وأعراض وأموال المسلمين وغير المسلمين من خلال استهداف الكنائس والتفجيرات التي تزهق أرواح الناس، حتى أنهم يخدعون الشباب الذي يشارك في

(١) مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، ٣٦/ ٣٤٥.

التفجير أنه كلما كانت أعداد الضحايا كثيرة كانت منزلة الانتحاري عالية في الجنة.

إن النبي ﷺ حذّر من أذيّة الناس وبيّن أنها من أخطر الأمور عند الله، وقد بيّن القرآن الكريم حُرمةَ النفس البشرية قال تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾[المائدة: ٣٢]

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(١).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ..»(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٤/ ٤٩٩، حديث رقم ٨٩٣١.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند أحاديث رجل من أصحاب النبي، باب مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، ٣٩/ ٣٨١، حديث رقم ٢٣٩٥٨.



إن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام مشكلة عند المسلمين؛ لأن الإسلام يعني العيش في سلام واستقرار وتحقيق الأمن للحياة والأحياء، ولم يكن سبيلاً لقتل الناس أيًّا كان دينهم أو مذهبهم أو فكرهم أو ترويعهم أو استحلال أموالهم وأعراضهم، يقول رسول الله ﷺ «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[1] إن المبدأ الشرعي الخاص بحماية النفس مبدأ شامل يُعطي حق الإنسان في الحياة وسلامته الجسدية، إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»[2] ولم يقل يعذبون المسلمين؛ ليؤكد على أن الإسلام يحترم إنسانية الإنسان دون النظر إلى دينه أو غير ذلك.

إن النبي ﷺ قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، ٤/ ٩٩ حديث رقم ٣١٦٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس، ٤/ ٢٠١٨ حديث رقم١١٨(٢٦١٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات، ٣/ ١٧٠، حديث رقم ٣٠٥٢.

ويعتبر هذا الحديث تهديدًا كبيرًا لكل مسلم تسول له نفسه الاعتداء على أي حق من حقوق غير المسلمين أو المعاهدين[1].

إن الإسلام ليس قضية شخصية تختلف فيها وجهات النظر، ويعمل كل فريق على استغلالها لخدمة أغراضه ومصالحه؛ لأن الأديان ما جاءت إلا لرحمة وسلامة الناس، وإن تعاليم الإسلام رسّخت ذلك فقد قال تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]. والنبي ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»، وهذه الرحمة ليست للمسلمين فقط، وإنما للمسلمين وغير المسلمين؛ لأن الدين يعمل على صناعة الحياة لجميع الناس على أساس من صيانة الحقوق والحريات، فكل إنسان له الحق في الحياة، وله حرية ممارسة شعائر دينه، وليس من حق الآخرين الاعتداء عليه أو حرمانه بدعوى أنه كافر أو مخالف في الدين، إن المخالفة في الدين أو المذهب أو الفكر لا تبرر القتل؛ لأن الله تعالى شاء أن يختلف الناس في ذلك، وإن ممارسة أي فعل من شأنه أن ينال من ذلك يُعد رفضًا لإرادة الله تعالى في خلقه.

إن الإسلام احترام لاختيارات الناس في الحياة وعدم ممارسة الإرهاب ـ تحت أي مسمى ـ عليهم لحملهم على اعتناق أي فكر، يقول

(١) حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي ــ يسري محمد أرشد، ص٩٦.

الشيخ محمود شلتوت: الفهم الإنساني في الإسلام ليس دينًا يلتزم، لقد اتصلت بالقرآن بعد أن التحق محمد بربه، أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نص في معنى واحد، ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب لا على أنها دين يُلتزم وإنما هي آراء وأفهام.. وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفي معتقدهم إلا اجتهادًا فرديًا، لا يُوجب واحد منهم على أحد من الناس أن يتبعه»[1].

يقول الدكتور طه حسين وهو يتحدث عن عمر بن الخطاب: وكان رجلًا يحب أن يكون عمليًا ـ كما يقال ـ فلم يكن يعلمهم الدين خالصًا، وإنما كان يعلمهم الدين، ويبين لهم كيف يلائمون بينه وبين حياتهم اليومية، وكيف يطابقون بينه وبين ما يأتون من الأمر، وما يَدعُون، ويؤدب نفوسهم بأدب الدين.. كما أن رعايته لشئون الدين قد حملته على أن يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي ﷺ ولا أيام أبي بكر رضي الله عنه فهو الذي أخذ الناس بقيام رمضان بعد أن تُصلى العشاء، فسنَّ لهم صلاة التراويح[2]، إن التاريخ خلّد موقف عمر رضي الله عنه حينما صلّى خارج كنيسة القيامة، احترامًا وتقديسًا لحق النصارى في

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ـ الشيخ/ محمود شلتوت، ص٨.
(٢) الشيخان ـ د. طه حسين، ص١٩٤ – ١٩٦.

كنيستهم، حتى لا يأتي من بعده ويحاول ادعاء الملكية للمكان الذي صلّى فيه عمر فيما لو صلى داخل الكنيسة.

لقد فهم عمر رضي الله عنه الإسلام وطبّق فهمه المستنير له عمليًا، عمر الذي دخل بيت المقدس وأعطى أهلها أمانًا على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم، فكان قدوة وأسوة في سماحته وعدالته.

وإن التاريخ سيذكر بكل سوء المجرمين الذين لم يعرفوا سماحة الإسلام فقاموا بالتخطيط والدعم لتفجير الكنائس، إن الإسلام أمان وسلام ورحمة، وقد أوصانا رسولنا الكريم أن نتخلق بأخلاق الله، ومن أخلاقه الرحمة حيث قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، وكما أوجب الله تعالى على الإنسان أن يرحم أخاه الإنسان أوجب عليه أن يرحم الحيوان؛ لأن الرحمة أثر من آثار الإيمان، وإن قسوة القلب تنافي الإنسانية»[1].



(١) من توجيهات الإسلام، الشيخ/ محمود شلتوت، ص٣٠٤ ـ ٣٠٧

نظرات في التدين الشكلي

احترم الإسلام عقل الإنسان وعمل على تنميته بالقراءة والبحث والتأمل من خلال الأمر بالقراءة والنظر ليفهم المرء أمور دينه، ويدرك حقيقة الدور الذي أنيط به في هذه الحياة.

إن فهم الدين يعني التمسك بأوامره وترك نواهيه ظاهرًا وباطنًا، وقد بيّن رسول الله ﷺ حقيقة التدين حينما قال «قل آمنت بالله ثم استقم»[1] أي الاعتقاد القلبي والسلوك العملي في فهم الدين والتعامل مع الناس بحيث يعيش الإنسان حالة من الرقابة الذاتية تجعله يصل إلى معاني الإحسان التي بيّنها النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

والإحسان ليس في العبادات فقط، ولكن الإحسان أيضًا في التعامل مع الناس والنظرة إليهم؛ لأننا بحاجة إلى حسن التعامل مع المسلمين وغير المسلمين أكثر من الأقوال والمواعظ، واستدعاء الكثير من النصوص الشرعية دون القدرة على تنزيلها على واقعنا وعندئذ يحدث التعسف في الفهم والاستخدام الخاطئ للنصوص لتأييد الفهم المتعصب للدين، وإكراه الناس على قبوله، مما أدى إلى

(١) صحيح مسلم رقم الحديث (٣٨) .
(٢) صحيح البخاري رقم الحديث (٤٧٧٧) .

حالة من الصد عن الإسلام وكراهيته بسبب ضيق الأفق وعدم استيعاب الواقع.

إن التعصب والغلو أدى إلى حالة من الخلط بين نصوص الشرع وبين الفهم لها عند هؤلاء المتعصبين، حتى أننا نرى فئات تُقدم فهمها للدين على أنه دين، مما أشاع نوعًا من الإرهاب الفكري باسم الدين، وأدى إلى حالة من الرهبة في تناول الأمور المتعلقة بالتدين؛ لأن هؤلاء تصوروا أن نقد فهمهم الخاطئ للدين نقد للدين، ولا شك أن مثل هذه الحالة تؤدى إلى تعطيل الفكر والتضييق عليه والترهيب من النقد.

إن فهم الناس للدين لا يمكن أن يختزل في قضايا معينة أو مجالات معينة أو فهم معين ليُحاصر الدين فيه، ويتم الحكم على الناس بالإيمان والكفر أو الفسق أو الفجور من خلال تلك التصورات الذهنية للتدين.

ولذا فإن من أبرز المشكلات التي نعاني منها الآن: التعامل مع النصوص الشرعية بالفهم الانتقائي أو اجتزاء النصوص وهذا مما وقعت فيه تيارات العنف والتطرف التي تحاول إيجاد غطاء ديني لأعمالها الوحشية لتقتل باسم الدين وتستحل الأموال والأعراض باسمه، مما أدى إلى خداع واستقطاب فئة من الشباب لاحظّ لها من العلم للانخراط في تلك التيارات باسم الدين.

ومن المشكلات التي نعاني منها أيضًا :- تسلط فئة ممن يتحدثون باسم الدين على عقول الناس ومحاولة احتكار هؤلاء لفهم الدين بطريقة عقيمة ومتعصبة دون النظر إلى فقه الواقع أو الأولويات أو المآلات، مما أدى إلى النفور من الدين والبعد عنه، وأعطى الفرصة للمتربصين أن يخوضوا في النصوص ويهرفوا بما لا يعرفوا حتى أصبحت صورة الدين كئيبة في نظر من لم تتح لهم الفرصة لفهم الإسلام بشكل مستنير.

إن الرسول ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»(١) وهؤلاء يخالفون هذه التوجيهات ليكون ما جاء به النبي ﷺ تابعًا لأهوائهم، فأين هي الرحمة؟ حيث قال النبي ﷺ «من لا يرحم لا يرحم»(٢) وأين مراعاة مشكلات وواقع الناس؟ إن النبي ﷺ عامل الأعرابي الذي بال في المسجد بتسامح كبير، وعامل هذا الصحابي الذي أفشى سرّ النبي ﷺ مع أهل مكة برفق وتسامح وراعى سابقة هذا الصحابي الذي شهد بدرًا، ويسّر النبي ﷺ على هذا الرجل الذي أتى امرأته في رمضان من خلال تقديره لحالته وظروفه الاقتصادية وإعطائه الصدقة ليتصدق به على أهله حيث قال الرجل للنبي ﷺ لا

(١) رواه البغوي في شرح السنة – اسناده حسن.
(٢) صحيح مسلم رقم الحديث (٢٣١٩).

يوجد بين لابتيها من هو أفقر مني، فقد بلور النبي ﷺ حقيقة التعامل مع المواقف ومع الناس بمنظور واسع وأفق مستنير يستوعب الواقع.

ولذا فإن محاولات العبث بالنص الشرعي من خلال إغلاقه أو محاصرته في فترة زمنية معينة أو في مكان معين أو أشخاص معينين نوع من الظلم يمارس باسم الدين ونوع من الفهم الضيق والبغيض للدين.

إن إقصاء الدين عن واقع الحياة ومشكلات الناس خطيئة كبرى، تؤدي إلى الحجر عليه بسبب الفكر الظلامي، وتوهم أن الدين معنيّ بأمور معينة، أما المشكلات اليومية للإنسان، وحياته مع الآخرين والتعامل معه فلا يوجد أي نوع من المرونة أو التيسير في عقول من يصدرون فهمهم للدين على أنه الدين.

إن التدين يعني الرفق والسماحة في كل الأحوال قال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»[1].

إن مواقف النبي في التعامل ترسخ للفهم الواعي للدين: في عفوه وسماحته مع من يتعثر في القول أو الفعل، وتبدو رحمته في التسامح مع أصحابه ومع مخالفيه مما جعله نموذجًا حيًا للقدوة الحسنة، هذا الجانب الذي افتقدناه في حياتنا مما جعل المواعظ تفتقد الاستجابة والتأثير.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

دور المجتمع في دعم استقرار الوطن

إن من أهداف الإسلام إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم، وإصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه، وإصلاح حال المجتمع، وبيان واجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه، ولذا عُني الإسلام بإصلاح المجتمع، وجعله متماسكًا يستطيع المناضلة عن حقوقه، ودعم أمنه واستقراره، لأجل ترسيخ أسس التعاون والعيش المشترك بين أفراده، وتضافرت نصوص الكتاب والسنة على وضع المبادئ والآداب الاجتماعية اللازمة لذلك، وكان الحث على رعايتها والتمسك بها وسيلة لتوثيق الروابط بين أفراد المجتمع ليكونوا كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا، ولصون هذا المجتمع وبقائه سليمًا من أسباب النزاع والخلاف.

ولأجل صلاح المجتمع وبقائه سليمًا من التفكك حذّر الإسلام الأفراد من الوشاية والشائعات حتى لا يقعوا في جرمها وسوء عاقبتها قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[الحجرات: ٦]؛ لأنه ينبغي التثبت عند سماع الكلام والأخبار التي تصدر عن الجهات المشبوهة والمصادر غير الموثوق فيها التي تريد زعزعة الأمن والاستقرار وزرع الفتن والتأثير السلبي على حياة الناس.

إن ما يمر به الوطن من ظروف قاسية وتحديات داخلية وخارجية ومؤامرات مدعومة بغطاء إعلامي من الشائعات الكاذبة والروايات المُلفَّقة التي تبثها المواقع الالكترونية والفضائيات المأجورة لضرب الاستقرار في مصر، يدعونا إلى أخذ الحيطة والحذر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[النساء:٧١].

حيث أَكَّدَ الإسلام على أهمية الحذر ووجوب الحيطة والتحرز من كل ما يهدد حياة الفرد والمجتمع واستقرار الوطن، خاصة في ظل الترويج للدعاية التي تؤدي إلى تشكيك الناس في بعض الأمور المتعلقة بالوضع الاقتصادي أو الأمني أو في قدرة مصر على مواجهة التحديات الراهنة ودحر الإرهاب.

وهذا يدعونا إلى استشعار المسؤولية والشعور بطبيعة المرحلة الراهنة التي تحتاج إلى مزيد من الصمود والتحدي والعزم على تجاوز تلك المحن التي تدفعنا إلى المزيد من العمل والإنتاج ومعرفة كيفية إدارة الأزمات بترشيد الاستهلاك وحسن التدبير للأمور المعيشية.

فعلى المستوى الأمني فإننا بحاجة إلى استشعار خطر الإرهاب الذي يستهدفنا جميعًا ويستهدف قواتنا المسلحة وقوات الشرطة، ويعمل على ضرب الاستقرار في المجتمع.

إن حالة عدم الوعي والسلبية التي تصيب بعض فئات المجتمع تؤدي إلى استفحال خطر الإرهاب، ولذا فنحن بحاجة إلى تضامن جميع أفراد المجتمع في المواجهة الحقيقية للإرهاب ورفض جميع أشكال التعاطف أو الإيواء أو التستر على من يهددون أمن واستقرار المجتمع.

إن المجتمع بحاجة إلى الروح الإيجابية التي تلزم الأفراد بواجباتهم الاجتماعية للمحافظة على الاستقرار، ودعم الجهود التي تبذلها الدولة في مواجهة الإرهاب.

لقد جعل الإسلام للمجتمع رقابة فعالة على سلوك الأفراد، بحيث تجعله مسؤولًا عن استقامة الأفراد، وعدم خروجهم عما رسم الله لهم من حدود ونهاهم عن تجاوزها بعد أن أوضح لهم معالمها ـ ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] وتتجلى مسؤولية المجتمع عما يأتيه بعض الأفراد من خلال الحديث النبوي: عن النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ القَائِم على حُدُودِ الله والْوَاقِع فيها، كَمثل قَومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، فَأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أَسْفلَهَا، فكان الذي في أَسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فَوقَهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنا؟ فإن

تَرَكُوهُمْ ومـا أَرَادوا هَلَكـوا وهلكـوا جَميعـا، وإنْ أخـذُوا علـى أيديهِمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعا»(أخرجه البخاري).

ففي هذا الحديث تمثيل لأحكام الشريعة ومبادئها بالسفينة.

فكما أن السفينة قد أُعدت لتشق عُباب البحر وتحمل من فوقها إلى بر السلامة، وفي الحديث تمثيل المجتمع الإسلامي بمن فوق السفينة وفيهم المحافظون على حدود الله والمفرطون فيها من الذين يحاولون ارتكاب الفساد بالخروج عما رسم الله لعباده من السعي في إعمار الحياة واحترام تعاليم الإسلام.

إنه لو تم خرق السفينة وضُرب الاستقرار في المجتمع لهلك الجميع بسبب انحراف وسوء فعل الخارجين على الأمن ممن يستحلون تدمير المجتمع ويستحلون قتل الأنفس ونهب الأموال وترويع الآمنين.

ومن هنا تتجلى مسؤولية المجتمع عما يرتكبه الأفراد من فساد ومنكرات، وقد نص القرآن وعاب أهل المعرفة إذا سكتوا ولم ينكروا على الأفراد انحرافهم وارتكابهم المنكر.

وهذا مما يؤكد على أن الإرهاب يحتاج إلى مواجهة مجتمعية حاسمة من خلال تكاتف جميع مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني وجميع أفراد الشعب.

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان .(رواه مسلم). وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(متفق عليه).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[الأنفال: ٢٥].

إن تفعيل دور الأسرة والمدرسة والجامعة في تنمية الوعي بخطر الإرهاب أمر مهم للغاية في هذه المرحلة الراهنة؛ لأن الحياة الإنسانية لها قيمتها في الإسلام، وللنفس البشرية حرمة لا ينبغي انتهاكها والتعدي عليها، فالإسلام يحمي النفس من الاعتداء عليها، ويضع الأحكام المشددة لمواجهة جرائم الاعتداء على الغير؛ لأن حق الحياة ثابت لكل نفس بشرية فحياة الإنسان مصونة في الإسلام.

وقد نهى الله تعالى عن الفساد في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٦].

النقد بين الإيجابية والسلبية

إن المتأمل في تفاوت أفهام البشر وتباين نظراتهم للأمور، واختلاف استنتاجاتهم العقلية، يدرك حكمة الله تعالى في محدودية قدرات العقل البشري، ومن ثم فإن الإنسان بحاجة إلى إعادة النظر فيما يفكر، وفيما يُنفِّذ عبر النقد الذاتي الذي من خلاله يمكن تصحيح الأخطاء وتطوير الأداء والاستفادة من وجهات النظر الأخرى، وما يصدق على الإنسان وحاجته للنقد الذاتي يصدق على المجتمع وعلى مؤسساته المختلفة.

إن مما قامت عليه رسالات الأنبياء عليهم السلام دعوة الناس لعبادة الله الواحد، وترافق مع تلك الدعوة نقد الواقع الموجود وتعاطي الناس معه من خلال تحليل هذا الواقع تحليلًا دقيقًا قام على تنمية الجوانب الإيجابية ورفض وإقصاء السلبيات، عبر تقديم تصورات واقعية لأساليب الفكر والتعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك.

ولعل تعامل الإسلام ـ عند مجيئه ـ مع الموروثات الجاهلية عند الناس خير شاهد على ذلك، فلم يرفض الإسلام كل ما لدى العرب ـ آنذاك ـ بل استحسن بعض الأخلاقيات مثل: إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف وغير ذلك مما يتفق مع منهجية الإسلام فقبلها الإسلام

وأعطاها بعدًا إيمانيًا؛ ليؤكد على أهمية الموضوعية والإيجابية في النقد، فلم يكن نقد الإسلام للواقع نقدًا من أجل النقد، وإنما كان يهدف إلى بناء مجتمع متماسك يقوم على المعرفة والفهم العميق لكل ما يدور، ولذا كان الأمر بالقراءة في أولى آيات الوحي.

وإذا كنا نتحدث عن النقد الذاتي، فإنه مسألة منهجية تمارسها المجتمعات التي تشعر بقيمتها ومسؤولياتها، وتدرك دورها ومكانتها في الحياة؛ لأن ممارسة النقد الذاتي تؤدي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، نظرًا لأن كل مجتمع فيه من الأفكار والسلوك ما يجعله مجالًا للنقد والمراجعة والتقويم، وهنا يكون النقد الإيجابي مطلبًا ضروريًا فلا يقبل التركيز على السلبيات ونقدها بطريقة غير منهجية تعمد إلى تضخيمها وتعجز عن تقديم المعالجة اللازمة لها.

إن الإسلام اهتم بشكل ملحوظ بمسألة النقد الذاتي حتى إنه أقسم بالنفس اللوّامة قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:١-٢]، إن مراجعة الإنسان لنفسه وتقويم أدائه في أي مجال من مجالات يُعد بمثابة المناعة الداخلية في جسم الإنسان وصمام الأمان، ولذا قال عمر رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا».

والنبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ

أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»(1) ولا شك أن هذا البيان النبوي يوجه الإنسان إلى المراجعة الدقيقة لأفكاره وسلوكه بعيدًا عن الانحياز العاطفي وادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة.

وهذا يحمل الإنسان على مراجعة ومساءلة نفسه وتصحيح مسيرة حياته، وتقديرًا منه واعترافًا بأهمية النقد الموضوعي أوصى أبو بكر رضي الله عنه الناس أن يعينوه على الإحسان، وينبهوه على ما يحتاج إلى تنبيه.

وقال عمر رضي الله عنه: «رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي»(2).

إن النقد الموضوعي هو الذي يبحث عن محاسن ومساوئ العمل، بهدف تشجيع الحسن منه، وتقويم السيء منه، مع السعي في إيجاد الحلول دون تشويه أو تجريح، أو تعمد تصيّد الأخطاء والعثرات والبحث عن الزلّات وهذا ما يطلق عليه النقد السلبي الذي أصبح الشغل الشاغل لفئات من الناس ممن يفترض فيهم امتلاك أدوات النقد بعيدًا عن الكلام المرسل وعبارات السب والشتم والسخرية وتسفيه

(1) رواه الدارمي في سننه، كتاب العلم، باب من كره الشهرة والمعرفة، 1/ 453، حديث رقم 556.

(2) رواه الدارمي في سننه، كتاب العلم، باب رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، 1/ 506، حديث رقم 675.

عمل الآخرين، والتعدي بالحكم على نواياهم وغير ذلك من الأمور التي تثير الدهشة ويندى لها الجبين، مما يجعل المرء يتساءل ما الذي حدث لهؤلاء ؟ وما اللغة التي يستخدمونها؟ في نقد أداء غيرهم، وأين أمانة الحديث؟ وأمانة العرض؟ والموضوعية؟

إن هذا المسلك السلبي في النقد يؤدي إلى تدمير روح الإقدام عند من لديه رؤية يمكن من خلالها أن يسهم بها في دعم مسيرة الوطن، وخاصة في الظروف الراهنة التي تخوض فيها الدولة حربًا ضد الإرهاب، وتحتاج إلى إبراز الإيجابيات ونقد السلبيات بموضوعية.

إن الإنسان أو المجتمع أو المؤسسة التي لا تنقد ذاتها، فإنها لا تشعر بالخطأ أو الخلل أو ما يحتاج إلى مراجعة أو تطوير أو غير ذلك، مما يؤدي إلى تولد حالة ممانعة ورفض لأي نقد، وبالتالي فنحن بحاجة إلى الاستفادة من المجتمعات المتقدمة التي تمارس النقد، وبحاجة إلى تعلم آداب وأخلاقيات النقد، وأن يتقبل من يقوم بالنقد النقد الذي يمكن أن يُوجّه إلى نقده، لأجل تنمية ثقافة الاختلاف واحترام الرأي والرأي الآخر.

إننا بحاجة إلى مراجعة موروثاتنا الثقافية في النقد والاختلاف، بحاجة أن نعمل على توعية الشباب بأهمية النقد الإيجابي الذي لا يبخس الناس حقهم فيما أحسنوا فيه، ويتحدث عن السلبيات

بموضوعية ويقوم بتقديم البديل من خلال رؤية واعية تستصحب تلك القاعدة «الحكم على الشيء فرع عن تصوره».

نريد أن نُعلّم شبابنا البعد عن النقد السلبي الذي يقوم على التقليل من شأن الآخرين والاستهزاء والسخرية ويتعمد تجاهل الأعمال الإيجابية؛ لأن هذا المسلك لا يخدم مصلحة الوطن.

إن المسؤولية المجتمعية والوطنية تملي على جميع المواطنين بمستوياتهم الفكرية المختلفة أن يتعاونوا ويتحاوروا بدلًا من الهجوم والتطاول، والتشكيك في كل شيء، وتركهم في حالة من الحيرة والاضطراب وعدم الثقة والخوف من المستقبل، إن التعامل السلبي مع الواقع يؤثر على ثقة المواطن في الدولة ومؤسساتها خاصة في ظل المواجهة الشاملة مع الإرهاب والتطرف الذي يعمل على استهداف الوطن والمواطن عبر أساليب مختلفة، ومنها: التشكيك المستمر ومهاجمة المبادرات الإيجابية بأسلوب ساخر وهابط بدعوى الحرية التي في حقيقتها فوضى.

إن تلك الحملات التي تُشنّ بين الحين والآخر وهي ترفع شعارات الحرية والتنوير كثيرًا ما تكون بعيدة كل البعد عن الحرية والتنوير، فالحرية ليست فوضى، والتنوير ليس هو الإغراب ولا تقليد الغرب أو الشرق إنه الاستنارة بنور الشرع والعقل إن التعامل

الموضوعي مع الأمور يعصم من خلط الأمور وضياع الحقيقة، ومن المعلوم أنه متى غابت الحقائق، فلا بد أن يغيب معها أنبل ما في الحياة الإنسانية من: العلم، والصدق، والأمانة، والعدل، والحق، والإنصاف، وإذا اختفت هذه القيم من مجتمع كان مصيره الزوال.



أزمة الروهينجا في ميانمار
بين غفلة المسلمين وغياب ضمير العالم

يمر مسلمو الروهينجا في ميانمار بأعنف أزمة في تاريخهم المزدحم بمآسي القتل والتهجير والتدمير وغير ذلك، والعالم بأسره يشاهد الانتهاكات ولا يتحرك له ضمير، كما أن كثيرا من المسلمين لا يعرفون واقع تلك الفئات المقهورة التي تواجه التسلط والتصفيات الجسدية وحملات التطهير العرقي المستمرة التي بدأت منذ العقود الأولى من القرن العشرين حيث كانت ميانمار تعرف باسم بورما، وهي دولة بجنوب شرق آسيا، انفصلت في أبريل ١٩٣٧م عن حكومة الهند البريطانية نتيجة اقتراع بشأن بقائها تحت سيطرة مستعمرة الهند البريطانية أو استقلالها لتكون مستعمرة بريطانية منفصلة.

وقد نالت استقلالها أخيرًا سنة ١٩٤٨م وانفصلت عن الاستعمار البريطاني ويختلف سكان بورما من حيث التركيب العرقي واللغوي بسبب تعدد العناصر المكونة للدولة.

عدد المسلمين في ميانمار وأصولهم:

يشكل البوذيون أغلبية السكان في ميانمار ويقطنون في قرى حول الدلتا وحول وادي النهر اراوادوي، كما أن أكثر المسلمين الأركانيين ينحدرون من أصول عربية يعود نسبهم إلى المسلمين في اليمن

والجزيرة العربية وبعض بلاد الشام والعراق والقليل من أصول فارسية، ويوجد أيضًا عدد آخر ولكن أقل بقليل من أصول بنغلاديشية وهندية، وقد وصل هؤلاء المسلمون إلى أراكان وجارتها بنغلاديش بغرض التجارة ونشر الإسلام، وهناك استقر الكثير منهم ونشروا تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، هاجر نسبة كبيرة من السكان إلى السعودية والإمارات وبنغلاديش وباكستان بسبب القتل الجماعي والاضطهاد الذي واجهوه من قبل البوذيين والحكومة الميانمارية، ويواجهون اليوم الكثير من التحديات للعيش في مجتمعاتهم الجديدة ومن أهم التحديات الحصول على حق التعليم والعلاج والعمل البسيط لهم ولأبنائهم ناهيك عن حق العيش في تلك الدولة.

وتصل نسبة المسلمين إلى أكثر من ٢٠٪ وباقي أصحاب الديانات من البوذيين «الماغ» وطوائف أخرى ويتكون اتحاد بورما من عرقيات كثيرة جدًا تصل إلى أكثر من ١٤٠ عرقًا، وأهمها من حيث الكثرة «البورمان»، وينتشر الإسلام بين هذه الجماعات والمسلمون يعرفون في بورما بـ «الروهينغا» وهم الطائفة الثانية بعد «البورمان» ويصل عددهم إلى قرابة ١٠ ملايين نسمة يمثلون ٢٠٪ من سكان بورما البالغ عددهم أكثر من ٥٠ مليون نسمة، أما منطقة أراكان فيسكنها ٥ , ٥ مليون نسمة حيث توجد كثافة عددية للمسلمين يصل عددها إلى ٤

ملايين مسلم يمثلون ٧٠٪ من سكان الإقليم، وإن كانت الإحصاءات الرسمية لا تنصف المسلمين في هذا العدد حيث يذكر أن عدد المسلمين - حسب الإحصاءات الرسمية - بين ٥ و٨ ملايين نسمة، ويعد المسلمون من أفقر الجاليات في ميانمار، وأقلها تعليمًا ومعرفتهم عن الإسلام محدودة، نظرًا للمحاولات المستمرة في عزلهم عن العالم الإسلامي، وحرمانهم من التعليم ومنعهم من ممارسة شعائر دينهم.

ويواجه المسلمون في ولاية (راخين) الغربية قمعًا مفرطًا بحيث يشعرون أن لا خيار أمامهم سوى الرحيل (وهو ما يكون) في العديد من الحالات بأي وسيلة ضرورية .

إنهم يواجهون عداوة شديدة من الأغلبية البوذية ويقولون إنهم ضحايا سياسة رسمية من الفصل دفعتهم للعيش على هامش منطقة فقيرة أصلًا بالمقابل دأبت الحكومات المتعاقبة في ميانمار على القول بأن مسلمي الروهينغا ليسوا جماعة عرقية فعليًا، وأنهم في واقع الأمر مهاجرون بنغال يعتبرونهم بمثابة أحد آثار عهد الاستعمار المثيرة للخلاف، ونتيجة لهذا لا يدرجهم دستور ميانمار ضمن جماعات السكان الأصليين الذين من حقهم الحصول على المواطنة.

صور اضطهاد المسلمين في بورما:

يتعرض المسلمون لظروف قاسية رهيبة تتمثل فيما يلي:

- منع المسلمين من أداء فريضة الحج وعدم السماح لهم بأداء الصلاة.
- إلغاء الدراسة الإسلامية في المدارس والكليات.
- مصادرة الكتب والمنشورات والمجلات الإسلامية.
- القيام بحملات إرهابية لإخراج المسلمين من دينهم.
- مصادرة البيوت والعقارات الموقوفة على المساجد والمدارس الإسلامية.

ولما اشتد بطش السلطة واضطهادها للمسلمين بدأت قوافل منهم النزوح إلى بنغلاديش بأعداد هائلة تصل إلى خمسين ألف مسلم كل شهر وقد بلغ عدد المهاجرين من مسلمي بورما في ١٩٧٩م أكثر من (٢٠٠) ألف مسلم، وأذاعت إحدى الإذاعات العالمية يوم الجمعة (٢٧) صفر ١٣٩٩هـ الموافق (٢٦) يناير ١٩٧٩م خبراً يؤكد موت أكثر من سبعة آلاف طفل مسلم من مسلمي بورما المهاجرين بسبب الجوع والعطش، فإذا كان هذا العدد قد مات قبل عام ١٩٨٠م فكم عدد المسلمين الذين ماتوا إلى يومنا هذا؟ .

حرب الإبادة في بورما:

في عـام ١٩٣٨م حـدثت أول مجـزرة ضـد المسـلمين[١] وكـان السبب في هـذه المجـزرة جـدالًا نشـب على صـفحات الصـحف بـين صـحفيين أحـدهما مسـلم والآخـر بـوذي، ولـم تكـن هـذه الكتابـات في حينها أدت إلى مواجهة بين المسلمين والبـوذيين فنسـيها النـاس ولكـن في عـام ١٩٣٨م قـام أحـد الصـحفيين البـوذيين بنشـر هـذه الكتابـات وضمّنها كلامًا مفاده أن المسلمين يشكلون خطرًا على مستقبل البوذيـة في بورما، وعلى الرغم من أن المنظمات الإسلامية ـ هنـاك ـ تـبرأت مـن الأمـر، إلا أن البـوذيين عقـدوا اجتماعـا ضـخمًا في رانغـون العاصـمة، وأخـذو ينشـرون مقـالات مثيـرة في صـحفهم، الأمـر الـذي أثـار غوغـاء البـوذيين فبـدأوا بمهاجمـة المسـلمين في رانغـون وراح ضـحية هـذا الهجوم البوذي (٢٠٠) مسلم (و٧٥٠) جريحًـا وجـرى تـدمير الكثيـر مـن مساكـن المسـلمين ولـم تتـدخل السـلطات فـي الأمـر وكأنـه لا يعنيها.

(١) لقد بدأت معاناة المسلمين في بورما منذ سنوات طويلة ففي عام ١٧٨٤م بدأت قصة الظلم والاضطهاد لهم حيث دمر البوذيون كثيرًا من الآثار الإسلامية وقتلوا عددًا من العلماء والدعاة وسجنوا الكثير من المسلمين، واستمرت المعاناة حتى جاء الاستعمار البريطاني في عام ١٨٢٤م وجعلت بريطانيا بورما مع أراكان مستعمرة مستقلة عن حكومة الهند البريطانية الاستعمارية.

في عام ١٩٤٢م حدثت مجزرة أخرى قتل خلالها مائة ألف مسلم وخصوصًا في مقاطعة أراكان حيث كان حزب شاكن يحرض أتباعه على العنف ويوزع عليهم السلاح والذخيرة.

وفي عام ١٩٤٨م حدثت مجزرة جماعية أخرى اضطر على أثرها عدد كبير من المسلمين إلى الهجرة إلى باكستان الشرقية ـ آنذاك ـ (بنجلاديش) الآن وعندما عادو إلى بورما مرة أخرى كان البوذيون قد صادروا ممتلكاتهم وأراضيهم فاضطروا إلى الاستقرار في مناطق أخرى من بورما .

وفي تلك الفترة بدأ المسلمون يطالبون بحكم ذاتي في منطقة أراكان حيث الأغلبية الإسلامية، وقد وعدت الحكومة ـ آنذاك بإعطاء حكم ذاتي للأقليات، ولكن لم يتم الوفاء بالوعود، وقامت الحكومة المركزية الثورية عام ١٩٦٢م بتعيين المسئولين الحكوميين في أراكان من البوذيين، وحرم المسلمون من المشاركة في إدارة المقاطعة، وطرد قسم منهم من وظائفهم الحكومية وحرموا من حقوقهم السياسية.

وفي سنة ١٩٦٤م قامت الحكومة بمصادرة ممتلكات المسلمين الأثرياء كالمحلات التجارية والمخازن والعقارات واستولت حتى على السيارات بحجة التأمين، وفرضت قيودًا على المسلمين في أراكان ومنعتهم من السفر، وكان من الصعب على الراغبين في الذهاب

حتى إلى (رانغون) العاصمة أن يحصلوا على موافقة الحكومة وقد يحصل عليها البعض ولكن بعض إجراء تحقيق طويل.

وفي سنة ١٩٧٨م بدأت حكومة بورما بتنفيذ خطة (عملية التنين) بهدف إبادة المسلمين في بورما أو تهجيرهم من المناطق التي يشكلون فيها أغلبية السكان وهكذا بدأ حوالي (٣٠٠) ألف من مسلمي الروهنيغيا[١] في الهجرة من منطقة أراكان إلى بنجلاديش خوفًا من المذابح الجماعية التي بدأت تقوم بها القوات الحكومية والبوذيون ضد المسلمين، وأقامت حكومة بنجلاديش (١٣) مخيمًا لإيواء هؤلاء اللاجئين وعقدت اتفاقية سرية بين حكومة الرئيس ضياء الرحمن والحكومة البورمية لإعادتهم إلى بورما خلال عام ١٩٧٩- ١٩٨٠م. أشاعت المخاوف بين مسلمي الروهنيغيا إزاء نوايا الحكومتين تجاه قضيتهم.

حملات التهجير الجماعي والتشريد

بدأت حملات منظمة من عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٩١ شُرد من خلالها قرابة مليون ونصف مسلم خارج وطنهم، وهكذا لا يكاد الأراكانيون يلتقطون أنفاسهم من محنة إلا وتغشاها محنة أخرى،

(١) ويطلق على سكان أراكان (الروهنجيا) وهي مأخوذة من (روهانج) وهو الاسم القديم لأراكان.

واستمر الاضطهاد والظلم وإلغاء الحقوق والمواطنة تدريجيًا إلى يومنا هذا...

وتمت عملية التهجير الجماعي عبر ٤ مراحل.

قانون الجنسية في بورما:

سنَّت الحكومة البورمية عام ١٩٤٨ قانونين كانا يكفلان الجنسية للمسلمين هناك، وبعد سنوات أشاعت الحكومة أن في القانونين مآخذ وثغرات، وقدمت في ٤ يوليو ١٩٨١ مسودة القانون الجديد الذي ضيق على المسلمين، وصدر عام ١٩٨٢ وهو يقسم المواطنين كما يلي:

مواطنون من الدرجة الأولى وهم (الكارينون والشائيون والباهييون والصينيون والكامينيون).

مواطنون من الدرجة الثانية: وهم خليط من أجناس الدرجة الأولى.

مواطنون من الدرجة الثالثة: وهم المسلمون حيث صنفوا على أنهم أجانب دخلوا بورما لاجئين أثناء الاستعمار البريطاني حسب مزاعم الحكومة فسحبت جنسيات المسلمين وصاروا بلا هوية وحرموا من كل الأعمال وصار بإمكان الحكومة ترحيلهم متى شاءت.

الحرمان من التعليم:

يتم حرمان أبناء المسلمين من مواصلة التعلم في الكليات والجامعات، ومن يذهب للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، ومن ثم يعتقل عند عودته، ويرمى به في غياهب السجون.. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتم فرض عقوبات اقتصادية على مسلمي بورما، مثل الضرائب الباهظة في كل شيء، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يمثلهم بسعر زهيد لإبقائهم فقراء، أو لإجبارهم على ترك الديار.

وهذا يبين لنا بجلاء المخطط البوذي البورمي لإخلاء إقليم أراكان من المسلمين بطردهم منه أو إفقارهم وإبقائهم ضعفاء لا حيلة لهم ولا قوة ولاستخدامهم كعبيد وخدم لهم.

وتمنع تلك المجموعات المتطرفة، وبتواطؤ من الحكومة الميانمارية، وصول الإغاثات الإنسانية للمسلمين المنكوبين، ويقومون باحتجاجات عارمة في أراكان للمطالبة بطرد المنظمات الإغاثية العاملة في مناطق وجود اللاجئين الروهينجيين، ومنع الوفود الدولية من زيارة مخيماتهم التي تزداد أحوالها المأساوية سوءًا يومًا بعد يوم.

وإزاء ذلك، فإن أداء الحكومة في دولة ميانمار يطرح التساؤلات

حول حقيقة موقفها مما يحدث تجاه طائفة من مواطنيها الروهينجيين، فهي تتحمل كامل المسؤولية عن حمايتهم والحفاظ على حقوقهم. فعلى الرغم من توقيع الحكومة الميانمارية على الاتفاقيات والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، ورغم التزامها المعلن بحماية حقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية وسيادة القانون؛ لم تتخذ الحكومة أي إجراء حقيقي لحماية الروهينجا ومعالجة العنف أو وقف خطاب الكراهية.

موقف المجتمع الدولي من قضية مسلمي الروهينجا

إن العنف مرفوض إنسانيًّا ومدان من كل المواثيق الحقوقية والقوانين الدولية، ولكنه أحيانا يكون مقبولًا سياسيًّا ـ من قِبل القوى الدولية ـ عندما يكون أداة لتحقيق الأجندات المحلية أو الدولية، فرغم أنه بين كل فينة وأخرى تخرج علينا أخبار من ميانمار عن مقتل عشرات أو مئات أو آلاف من المسلمين على أيدي البوذيين، أو تحريق منازلهم، مع تخريب محلاتهم، ومحاصيلهم الزراعية، ثم يتبع هذه الأخبار ـ على قلتها وقلة صورها ـ سكوت عالمي، يشي ـ على أقل تقدير ـ بسلبية صناع القرار العالمي.

وما يثير التساؤلات بشكل متواصل، أن هذا القتل الممنهج هو بقيادة الرهبان والمتطرفين البوذيين، مما يعني أننا أمام «إرهاب ديني بوذي»، يسعى إلى تطهير ميانمار من المسلمين، وطردهم إلى دول

الجوار تحت مزاعم شتى، فمرة بسبب عرقهم، ومرة بسبب كونهم دخلاء على أرض ميانمار، فمن منطلق التمييز العنصري تشجع حكومة ميانمار الطائفة البوذية على قتل وإبادة المسلمين وترحيلهم من البلاد واعتبارهم دخلاء رغم مرور مئات السنين على استيطانهم هذه الدولة.

ومعاني السكوت العالمي عن تصرفات البوذيين تقرأ على أنها دفع إلى الإمام في عملية التطهير العرقي الذي تقوم به المجموعات البوذية المتطرفة ولكن بعد طول انتظار، شعر العالم بوخز الضمير تجاه مسلمي ميانمار والانتهاكات التي يتعرضون لها من جانب الأغلبية البوذية في ظل تجاهل تام من الحكومة هناك، وقوات الشرطة والجيش والقيادات السياسية والنخبة المثقفة.

لقد تورطت الحكومة البورمية في حملة تطهير عرقي ضد الروهينجا، هي مستمرة حتى اليوم، من خلال منع المساعدات وفرض القيود على التنقلات على الحكومة أن توقف فورًا هذه الانتهاكات وأن تحاسب الجناة، وإلا فسوف تحمل مسؤولية المزيد من أعمال العنف ضد الأقليات العرقية والدينية في بورما.

وإيمانًا من الأزهر الشريف بدوره العالمي ومسؤوليته نحو المسلمين المستضعفين في العالم فقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ

الأزهر بيانًا قويًا ندد فيه بالظلم والقهر والتطهير الذي يمارس ضد مسلمي ميانمار في ظل الصمت والتخاذل العالمي وموت ضمير العالم، وبيَّن ازدواجية المعايير واختلاف نظرة العالم لو كان الضحايا من غير المسلمين من اليهود والمسيحيين أو البوذيين كانت الأمور ستختلف تمامًا وستتحرك المنظمات والمجتمع الدولي.

وطالب الإمام الأكبر جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة ومجلس الأمن وصناع القرار في الدول العربية والإسلامية ودول العالم بسرعة ممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على السلطات في ميانمار لوقف سياسات التمييز العنصري والتطهير العرقي والديني الذي يمارس على مسلمي الروهينجا في ميانمار.

كما ركز الإمام الأكبر في كلمته التي ألقاها في مؤتمر «طرق السلام»، المنعقد في مدينة «مونستر» الألمانية على قضية المسلمين في ميانمار، وبيّن أنه لا تقبل التفرقة بين الناس في الحقوق على أساس من الفقر أو الغنى أو العرق أو اللون أو الدين؛ لأن ذلك في مفهوم الإسلام والأديان عمل غير إنساني؛ لأن الإنسان أخو الإنسان، وهناك مواطنة عالمية تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات.



واقع الأسرة في عالمنا المعاصر

تعاني الأسرة مشكلات كثيرة في عالمنا المعاصر، نتيجة ما أصابها من التفكك والعنف بالإضافة إلى ضعف التمسك بالقيم مما يستوجب النظر في الأسباب التي أدت إلى هذا الواقع المرير الذي بات يهدد نسبة غير قليلة من الأُسر مع التفاوت في المعاناة، وقبل أن نتحدث عن تلك الأسباب نشير إلى أن الأسرة ركيزة المجتمع، وأن قوة المجتمع وقوة الأمة مستمدة من قوة الأسرة؛ لأنها النواة الأساسية، وهي المنجم الذي تخرج منه الطاقات التي تسهم في بناء المجتمع.

لذا اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بإرساء المبادئ والقواعد التي تتركز عليها الأسرة من خلال توفير البيئة الصالحة لتربية الأجيال الفاضلة في ظلال المودة والمحبة والسكينة، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١]، وقد أوصى النبي ﷺ بحسن اختيار الزوجة ومراعاة أهلية تحمل المسؤولية بالنسبة للزوجين.

إلا أن الواقع الأُسري -اليوم- يقتضي الكثير من المراجعة وتحرير التعاليم الشرعية من التقاليد الاجتماعية الفاسدة التي تمارس باسم الدين، واسترداد دور المرأة التي تعتبر ركيزة الأسرة وإعطائها ما

أعطاها الله وبيّنه رسول الله ﷺ، وإعادة تعليمها وتثقيفها لتمارس مهمتها الأساسية في التربية والتنمية الاجتماعية عن وعي وبصيرة، إذ كيف يمكن أن تُربي أبناءها دون معرفة وعلم؟! وكيف تستطيع أن تُعدهم لمجتمع لا تدركه، ولا تتحقق بكيفية التعامل مع مشكلات لا تعي أسبابها؟

إننا عندما ننظر في أسباب معاناة الأسرة، تحكم رؤيتنا خارطة مُسبقة لا تزال تتكرر وتُذكر من عقود طويلة، دون أن تسهم في العلاج المناسب مع تراجع دور الأسرة، فهل المشكلة في غياب الأب، أم في أهلية الأب وإدراكه لمهامه؟

فقد يعيش الأب في غيبوبة أسرية، وهو حاضر يعيش بين أفراد الأسرة، وقد نجد أُسرًا متماسكة ومتعاونة متكافلة، اعتبرت غياب الأب، الذي قد يعتبر عبئًا على الأسرة - بسبب عدم تحمله للمسؤولية- مُحرضًا على التماسك والشعور بالمسؤولية.

وهل المشكلة حقًا في غياب الأم لساعات طويلة عن البيت، أو عمل الأم، وعدم تفرغها للتربية؟ وهل تفرغها للتربية ينحصر في البقاء في المنزل دون مؤهل؟!

فقد نجد أسرًا لأم عاملة أفرادها أكثر اعتمادًا على النفس وتعاونًا وشعورًا بالمسؤولية من كثير من الأمهات الحاضرات الغائبات! إن

الموضـوع دقيـق وخطيـر[1] حيـث ضـعُف دور الأسـرة بسـبب غيـاب المسـؤولية، ممـا أدى إلـى حالـة مـن الغُربـة والتباعـد بـين أفرادهـا، وأصبحت بيوت كثيرة أشبه بالمكان الذي يسكن فيه أفراد لا يجمعهم همّ واحد أو رؤية مشتركة مع تسليمنا باختلاف ظروف كل فرد من أفراد الأسرة، إلا أن واقع كثير من الأُسر يؤكد على وجود جُزُر منعزلة داخل البيوت، فنجد حالة من عدم الانتماء، أو الاهتمام نتيجة غياب المسؤولية وفقدان أهلية التعامل مع التحديات الأسرية.

إن من أبرز أسباب مشكلات الأسرة ما يلي:

١ـ غياب الوازع الديني، وضعف التمسك بالقيم الخلقية.

٢ـ عدم فهم الزوجين لحقيقة الحياة الزوجية، وما يجب معرفته للحفاظ على كيان الأسرة من حقوق وواجبات كل طرف تجاه الآخر، عَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ، قَـالَ: «أَلاَ كُلُّكُـمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ

(١) التفكك الأسري، الأسباب والحلول المقترحة، د. أمينة الجابر، د. صالح إبراهيم، ص٢٩، ٣٠.

رَعِيَّتِهِ»[1]، غياب المسؤولية داخل الأسرة، مما يُهدد حياتها، ويُصدّع أركانها، ويُعرِّضها للانهيار، ويُؤدي إلى تفككها وتفرق شملها.

٣ـ تخاذل الزوج أو الزوجة عن القيام بواجباته، والتنصل بشكل أو بآخر عن تحمل تبعات الأسرة ورعايتها.

٤ـ بروز العنف في التعامل: لقد تزايدت موجات العنف الأسري نتيجة الضغوط النفسية الناجمة عن المشكلات الاقتصادية، وعدم قدرة شريحة من الأسر على توفير المتطلبات المادية لأفرادها، مما ساعد على وجود العنف بين الزوج والزوجة وبين أفراد تلك الأسرة.

٥ـ تعرض المرأة أو البنات للعنف الأسري: أكد دراسات عديدة في الدول العربية على أن المرأة ـ سواء أكانت زوجةً أم بنتًا ـ هي: الضحية الأولى للعنف، وأن مصدر العنف هو: الرجل، وهذا لا يمنع وجود العنف أحيانًا من قِبل المرأة.

٦ـ سيطرة العادات والتقاليد: تعصف كثير من العادات والتقاليد باستقرار عدد من الأُسر وتهدد استقرارها، بل في بعض الأحيان تُودِي بها، نتيجة تسلط الرجل والمجتمع الذكوري الذي يمارس نوعًا من الوأد النفسي للمرأة، فيعصف بدورها، فتختفي السكينة والمودة عن

(١) صحيح البخاري رقم ٧١٣٨.

حياة الأسرة، فينشأ جيل يفتقد هذه المعاني، مما يؤدي إلى حالة من الوحشة والكره وعدم الاستقرار داخل الأسرة.

٧ـ غياب القدوة الحسنة في حياة الأسرة: حيث تشكل القدوة الحسنة عاملًا مهمًا في استقرار الأسرة وسعادتها، وتُعد القدوة بمثابة البوصلة التي يسترشد بها أفراد الأسرة في المواقف المختلفة في الحياة، إن غياب القدوة يُعرّض الأبناء والبنات لخطر أصدقاء السوء والمنحرفين أخلاقيًّا»[١].

إن رسول الله ﷺ بيَّن أهمية القدوة فقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[٢].

وقوله ﷺ «أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»[٣].

إن واقع الأسرة في عالمنا المعاصر ينذر بالخطر، حيث أدى ضعفها وعدم تمسكها بالقيم الخلقية، وعدم استشعار العديد من الأزواج لمسؤولياتهم إلى ظهور أجيال تُعاني ضعف الانتماء للأسرة

(١) جرائم العنف، عادل عبد العال، ص٢٧.
ـ الأثر الذي يولده العنف على الأطفال، نجاه السنوسي، ص١٤.
ـ جرائم العنف وأساليب مواجهتها – عباس محمود، ص٤١.
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، ١/ ٦٣٦، حديث ١٩٧٧.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٠/ ٢٤٢، حديث ٢٤٢٠٤.

والـوطن، وظهـور العنـف بشـكل مـزعج في البيـوت وفي الشـوارع والمواصلات والمدارس وغيرها من المجالات في الحياة.

وفي تصـوري أن مـن أبـرز أسـباب ذلـك مـا أصـاب الأسـرة مـن إصابات مختلفة نتيجة غياب دور الوالدين، وغياب دور المدرسة التـي تُسهم بشكل أساسي في عملية التربية والتنشئة الأخلاقية، ونتيجة غياب دور الإعـلام الـذي بـات منفصـلًا عـن واقـع الحيـاة نظـرًا لسـيطرة رأس المال عليه.

إننا نحتاج إلى تبني هموم الـوطن والتحـديات التي تواجهـه مـن إرهاب وتطـرف ولا سـبيل إلـى ذلـك إلا مـن خـلال إحيـاء دور الأسـرة والاهتمام بواقعها، والتركيز على الإعلام الوطني الـذي يتجـرد لخدمـة أهداف الوطن، ودعم دور الأسرة، وتبني همومهـا الواقعيـة، وإصـلاح التعليم واستعادة منظومة التربية التي لا تنفك عن التعليم.



القدس بين عروبتها ومحاولات تهويدها

إن التاريخ هو مخزون الأحداث والوقائع وهو مُعلِّمٌ للشعوب، ومن ثم لزم النظر فيه، والقراءة التحليلية النقدية لأحداثه، وإن أية عملية نهوض تحتاج إلى استقراء للتاريخ، وقراءة للواقع، للوقوف على موقع الأمة من مسيرة الحضارة.

إن ما حدث منذ أيام قليلة من قرار إسرائيل جعل «القدس» عاصمة لها، والقرار الأمريكي الذي أصدره الرئيس الأمريكي «ترامب» بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، واعتراف أمريكا بالقدس عاصمة لإسرائيل، يُعد مأساة كبيرة، لا ينفع معها الندب والبكاء، لأن حجم تلك المأساة سيتسع يومًا بعد يوم.

إن ما حدث ليس وليد اليوم، ولم يأت مصادفة، وإنما بدأ التخطيط له منذ عقود زمنية طويلة ودور «تيودور هرتزل» في هذه المؤامرة إلى أن حدثت نكسة ١٩٤٨م واستوطن اليهود في فلسطين، وفي عام ١٩١٧م أصدر بلفور وعدًا لليهود بوطن قومي في فلسطين، وفي عام ٢٠١٧م كان قرار إسرائيل بجعل القدس عاصمة لدولتها، وقرار الرئيس الأمريكي بنقل سفارة بلاده إلى القدس، والاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، لم يتعامل العرب والمسلمون مع هذه المخططات والمؤامرات بما يتناسب مع خطورتها، ولم يقفوا على

العقيدة الدينية لليهود والرؤية التوراتية في هذا الأمر المصيري، بل كانت هناك حالة من العقوق لما ورد في القرآن عن اليهود.

إن قيام إسرائيل جاء نتيجة رؤية دينية توراتية، كانت تدفع اليهود من أنحاء العالم إلى التحرك إلى إسرائيل التي - على حد زعمهم - ستقيم الهيكل في أرض الميعاد، ولم تكن القضية وليدة يوم وليلة - كما يتوهم البعض - وإنما هي مخططات خطيرة ضُرِبت لها جداول زمنية محددة ودقيقة، مهما تغيرت الحكومات أو الأشخاص أو الأحزاب، الليكود أو العمال أو غير ذلك ومهما تعاقب رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية.

إنهم انطلقوا من إرادة قوية، وليدة عقيدة تلمودية حاكها حاخاماتهم ورجال دينهم، واضطلع كل يهودي بمسؤولياته في تنفيذها.

والعرب والمسلمون ماضون في حياتهم ولم ينتبهوا لمقولة «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»!!!!

إن القدس تلك العاصمة الدينية والتاريخية والسياسية والاقتصادية لعرب فلسطين مسلمين ومسيحيين، مرت بمؤامرات عديدة ومحاولات يهودية لتزوير هُويتها عبر «تهويد المقدسات» بعمل حفريات تحت المسجد الأقصى، وبناء الكنس اليهودية، ومحاولات عدة لحرق وهدم المسجد واجتياحه، وحتى تهويد السكان عن طريق

طرد العرب من المدينة، واستقدام يهود آخرين من شتى بقاع الأرض، لتغليب تعداد اليهود فيها، ومرورًا بـ«تهويد ملامح المدينة» عن طريق هدم المنازل، وردم الآثار الإسلامية، وبناء مستوطنات على أنقاضها.

وقد أكّد د.ل. كارنييف «أن الفلسطينيين المعاصرين هم أصحاب الحق، والكنعانيين هم سكان فلسطين عبر التاريخ، وإسرائيل في الأصل قبيلة صغيرة، قامت بالغزو طمعًا في أرض كنعان ذات الثقافة العالية التي سميت بعد ذلك فلسطين».

وإن المؤرخ اليهودي (يوسيفوس فلانيوس) وصف القدس، فلم يذكر شيئًا عن الهيكل، وهذا يعني أن الهيكل الذي دمره «تيطن» لم تقم له قائمة بعد ذلك، ومنذ عام ١٣٥م إلى الفتح الإسلامي لم يكن يُسمح لليهود بالإقامة في القدس».

إن القدس عربية خالصة، وما وجد اليهود فيها إلا لفترة انتقالية تمثل سبعين عامًا فقط أو على عهدى «داود وسليمان»[(١)].

ولكن منذ الأيام الأولى بعد حرب ١٩٦٧م تم الإعلان عن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيد المدينة، إثر احتلال الجزء الشرقي، وبدأت الخطوات العملية لإنشاء حي يهودي جديد وقامت سلطات الاحتلال بسحب بطاقات الهوية لعدد كبير من المواطنين

(١) الموسوعة الفلسطينية، المرعشلي، هاشم وصايغ، قسم ٢، ٥/ ٦.



الفلسطينيين المقدسيين، مما يعني حرمانهم من دخول مدينتهم، وفقدان حقهم الشرعي بالإقامة في القدس، وقام الاحتلال بإلغاء الإدارات العربية وإلحاقها بالدوائر الإسرائيلية.

وفي عام ١٩٦٩م ظهرت تفاصيل مشروع «القدس الكبرى»، وفي إطاره تم تنفيذ (١٥) مستعمرة، وهي الحزام الاستيطاني حول القدس، فسعت إسرائيل إلى تأكيد وضع القدس الكبرى التي تمثل القدس الموسعة، من خلال صنع هوية للمدينة تنمحي معها هويتها الإسلامية، فتبدو الأغلبية اليهودية كاسحة.

وتم تطويق الأحياء العربية في المدينة القديمة، وفصلت عن الأحياء العربية القائمة خارج السور.

واتفقت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سواء حكومات «العمل» أم «الليكود» على تكثيف الاستيطان خارج الأسوار[1] لفرض الأمر الواقع الذي انتهى عبر سلب حقوق العرب من المسلمين والمسيحيين إلى إعلان إسرائيل القدس عاصمة لها واعتراف أمريكا بذلك، الأمر الذي ينذر بالخطر الكبير ويدعونا إلى العودة إلى الوحدة وعدم التشرذم وأن نحسن قراءة التاريخ والأحداث التي تمر بنا. وقد

---

(١) تهويد القدس، محاولات التهويد والتصدى لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات، أنور محمود زناتي – مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٩ – ٣٧.

أعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب موقفه القوي وموقف الأزهر الشريف من القرار الأمريكي للرئيس «ترامب» مؤكدًا رفضه الشديد والحاسم للقاء نائب الرئيس الأمريكي مؤكدًا أن الأزهر الشريف لا يمكن أن يجلس مع من يزيفون التاريخ ويسلبون حقوق الشعوب ويعتدون على مقدساتهم وقال فضيلة الإمام الأكبر: «كيف لي أن أجلس مع من منحوا ما لا يملكون لمن لا يستحقون، ويجب على الرئيس الأمريكي التراجع فورًا عن القرار الباطل شرعًا وقانونًا، وحمّل الإمام الأكبر الرئيس الأمريكي وإدارته المسؤولية الكاملة عن إشعال الكراهية في قلوب المسلمين وكل مُحِبِّي السلام في العالم، ووجه الإمام الأكبر نداءً عاجلًا لأهالي القدس قائلًا: لتكن انتفاضتكم الثالثة بقدر إيمانكم بقضيتكم ومحبتكم لوطنكم، ونحن معكم ولن نخذلكم».

لقد تحدث القرآن الكريم عن السنن الإلهية في فناء الأمم أو بقائها، وأهمية الاعتبار والتبصر إن الله تعالى قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ ..﴾[المائدة: ٨٢] ولكن لم نعتبر؟؟

إن اليهود لم يجدوا على مرِّ تاريخهم من حسن المعاملة ما وجدوه عند المسلمين، إلا أن طباعهم المتوارثة كانت تأبى عليهم إلا الحقد والتآمر والكيد.

إن المعاهدات التي وُقعت بينهم وبين رسول الله ﷺ، لم تُغير من طباعهم مما يستوجب الحيطة والحذر، ولا بد من الاستفادة من الرؤية القرآنية، إن القرآن الكريم لم يُفرد لهم تلك المساحة التي تحدث فيها عن بني إسرائيل وجرائمهم، وقتلهم الأنبياء، ونكثهم العهود وغير ذلك، إلا للاعتبار واستشعار الخطر المتوقع منهم.

ليس عبثًا أن يتحدث عنهم القرآن الكريم بهذا الحجم، ولكن لينبّه الأمة إلى خطرهم، إنها جِبلّتهم التي تنتقل من جيل إلى جيل، وتشكل المناخ الثقافي الذي يتحكم بالأجيال من خلال عقدة الشعب المختار، وأسوار المجتمعات المغلقة.

وهذا ما يجعلنا نفسر لماذا خاطب القرآن الكريم الأبناء بجرائم الآباء والأحفاد بجرائم الأجداد، إنها الجريمة، وهي الطبيعة المتأصلة والمتنقلة من جيل إلى جيل.

إنهم يتحركون بوعي وإدراك ودراسة لكل ما حولهم من خلال رؤية دينية توراتية وتلمودية، ويستخدمون الغزو الفكري والتضليل الثقافي.

حتى إن رئيس وزراء إسرائيل «بيجن» قال في الكنيست الإسرائيلي: «إن حق إسرائيل في فلسطين أبدي تاريخي، تشهد له الكتب المقدسة، ومنها القرآن الكريم، وقرأ قوله تعالى ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ

ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[المائدة:٢١].

وقال: «إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق، فلا يجوز لأحد دينيًا أن ينازعنا فيها»(١).

إنهم يمارسون السطو على كل شيء حتى النصوص القرآنية، إننا بحاجة إلى الوعي بالقرآن الكريم والسنة النبوية، والقراءة المتأنية لهما خاصة فيما يتعلق بعوامل نهضة الأمة، وأهمية تربية النشء على القيم الإسلامية، إن تلك القضية لن تحسم بالشعارات ولا بالعواطف، ولكن لا بد من التخطيط الواعي، واستعادة الثقة، وعدم الشعور بالهزيمة النفسية، لقد كانت المشكلة في عام ١٩٤٨م «قبول العرب لإسرائيل» فأصبحت المشكلة الآن: «اعتراف إسرائيل بالعرب».

مع أن القدس مدينة عربية منذ فجر التاريخ، سكنها الكنعانيون واليوسفيون وهم من العرب، وإذا كانت هذه المدينة المقدسة قد تعرضت عبر التاريخ القديم إلى غزوات الشعوب الأخرى، فإن هذا لا يعني أن ملكيتها تحولت للغزاة.

فقد دخلها العبرانيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستعمروها فترة قاربت السبعين عامًا، ثم غزاها الفرس عام ٥٨٦ قبل

(١) تأملات في الواقع الإسلامي، عمر عبيد، ص١٨١-١٨٣.

الميلاد، كما دخلها الإسكندر المقدوني الأكبر بقواته عام ٣٣٢ قبل الميلاد كذلك، أما الرومان فقد غزوها عام ٧٠ ميلادية، لكن العرب كانوا يطردون الغزاة، لتظل القدس مدينة عربية، وظلت القدس عربية، حتى جاء الفتح الإسلامي في القرن السادس الميلادي، وفي عام ٢٣هـ سماها المسلمون «بيت المقدس»، وقد تعرضت القدس لعدوان القوات الصليبية القادمة من أوروبا في العصور الوسطى، وأخضعت فلسطين وعاصمتها القدس الشريف للانتداب البريطاني في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

ومع ذلك خرج جميع المستعمرين لتظل القدس مدينة عربية، فيها مقدسات المسلمين والمسيحيين، ولم يجرؤ الغزاة والمحتلون عبر التاريخ على إحداث تغييرات أو عدوان على معالم المدينة المقدسة، إلا ما أحدثه الإسرائيليون في هذا العصر، وزعمهم أن القدس مدينة عبرية، واتخاذها عاصمة لدولتهم، بعد أن زيفوا التاريخ ودمروا تراث تلك المدينة لتغيير هويتها.

وقد أصدر مجلس الأمن عددًا من القرارات بشأن هذه المدينة المقدسة تمنع إسرائيل من المساس بمدينة القدس والتغيير في جغرافيتها، أو اتخاذها عاصمة لها ومن أبرز تلك القرارات، القرار رقم (٢٤٢) والقرار رقم (٣٣٨) وهما قراران يعتبران بوضوح أن القدس

جزء من الأراضي العربية المحتلة، ولا يجوز لإسرائيل إحداث أي تغيير فيها.

والقرار رقم (٢٥٢) في ٢١ مايو ١٩٦٨م الذي اعتبر أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية، وأية أعمال من شأنها تغيير الوضع القانوني للقدس هي إجراءات باطلة، ولا يمكن أن تغير من وضع القدس، ودعا إسرائيل إلى إبطال هذه الإجراءات والامتناع عن القيام بأي عمل آخر من شأنه أن يغير من وضع القدس[١].

ولكن الأمة العربية والإسلامية بحاجة إلى استعادة وعيها ووعي أجيالها التي لا تعرف حقيقة القدس ومكانتها لدى المسلمين والمسيحيين.



(١) مذكرة أمين عام رابطة العالم الإسلامي إلى الكونجرس الأمريكي بشأن القدس الشريف.

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب يطيب لي أن أؤكد على أهمية الوعي والإدراك للمفاهيم الإسلامية الصحيحة للقضايا الإنسانية التي تُعوزُها الموضوعية والدقة حيث تمت الإساءة إلى الإسلام بسبب من يتحدثون زورًا وبهتانًا باسمه ممن لا يملكون الأهلية العلمية، ويحاولون أن يقدموا فهمهم الضيق للدين على أنه دين، ومن يعترض على فهمهم، فكأنما يعترض على النصوص الشرعية، مما يستوجب تصحيح تلك المفاهيم المغلوطة، وبيان النظرة الموضوعية الإسلامية للقضايا المهمة في حياة الناس، خاصة في ظل انتشار الإرهاب والتطرف، وغياب الحوار الذي يحترم الآخر، ويتغيّا بناء العلاقات الإنسانية على أسس من المحبة والتعاون المشترك، لإحياء القيم الإنسانية المهجورة، ولتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا شك أن هذا يحتاج إلى الفهم الواعي المستنير للإسلام.

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.
٢. جامع بيان العلم وفضله – ابن عبد البر.
٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي.
٤. سنن أبو داود.
٥. سنن الترمذي.
٦. شعب الإيمان للبيهقي.
٧. صحيح البخاري.
٨. صحيح مسلم
٩. طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة
١٠. الطبقات الكبرى، ابن سعد
١١. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني ١/ ٦ .
١٢. فتح الباري، ١٣/ ١٢١
١٣. مسند الإمام أحمد
١٤. موطأ مالك.
١٥. نصب الراية لأحاديث الهداية، باب الجزية، ج٣.
١٦. شخصية المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، د. خالد عبد الرحمن.
١٧. أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام- عبد الحليم الجندي.

١٨. أحكام أهل الذمة.
١٩. أدب الاختلاف في الإسلام، الإمام الأكبر شيخ الأزهر - جاد الحق علي جاد الحق.
٢٠. أدبيات التعايش بين المذاهب – حسين على مصطفى.
٢١. أسامة بن زيد- حِبُّ رسول الله ﷺ، وابن حِبّه، د. وهبة الزحيلي.
٢٢. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور.
٢٣. أفكار للحوار، د/ عبد العزيز التويجري.
٢٤. الاستيعاب، ابن عبد البر
٢٥. الإسلام عقيدة وشريعة ـ الشيخ/ محمود شلتوت
٢٦. الإسلام في حياة المسلم - محمد البهيّ.
٢٧. الإمام الجويني إمام الحرمين، د. محمد الزحيلي.
٢٨. البحث العلمي في خدمة المعوقين، د. محسن ابن علي الفارسي مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، ط/ ١، مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض : ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .
٢٩. البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، د/ عبد الحكم الصعيدي.
٣٠. البيئة وعلاقتها بحقوق الإنسان والمنهج الإسلامي في حمايتها، علي سليمان الطعيمات.
٣١. التفسير المختصر، د. محمد راتب النابلسي .
٣٢. التفكك الأسري، الأسباب والحلول المقترحة، د. أمينة الجابر، د. صالح إبراهيم.

٣٣. الجامع الأموي في دمشق، الشيخ علي الطنطاوي، ط. ٢ دار الفكر، دمشق، ١٢٨٠هـ/ ١٩٦١م .
٣٤. الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى ـ د. عبد المتعال الجبري.
٣٥. الحوار الديني وأسس التفاهم المدني، محمد محفوظ.
٣٦. الخراج، لأبي يوسف.
٣٧. الخطاب الغائب، عمر حسنه.
٣٨. الخطط المقريزية.
٣٩. الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد.
٤٠. الشيخان ـ د. طه حسين
٤١. الصهيونية وفلسطين، د. سيد نوفل.
٤٢. العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ/ محمد أبو زهرة، ٩، ١٥.
٤٣. الليث بن سعد - د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.
٤٤. المغني لابن قدامة.
٤٥. المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي.
٤٦. الموسوعة الفلسطينية، المرعشلي، هاشم وصايغ.
٤٧. تأثير الثقافة الأندلسية في إسبانيا وأوروبا، د. السيد عبد العزيز سالم.
٤٨. تاريخ الطبري ٤/ ١٦٧ .
٤٩. تأملات في الواقع الإسلامي- عمر عبيد.
٥٠. تجديد الفكر الديني في الإسلام – محمد إقبال.

٥١. تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها د. ناصر سعد الرشيد
٥٢. تلوث المياه، أ/ خالد بن حسن بانا، ضمن بحوث ندوة السلامة في المشاعر المقدسة.
٥٣. تهذيب تاريخ ابن عساكر
٥٤. تهويد القدس، محاولات التهويد والتصدى لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات، أنور محمود زناتي – مركز دراسات الوحدة العربية.
٥٥. جرائم العنف، عادل عبد العال.
٥٦. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الإمام جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١ مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة : ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م .
٥٧. حقائق وشبهات حول الحرب الدينية – د. محمد عمارة (١٦٠-١٦٨) .
٥٨. حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظري والواقع العملي، د. مصطفي النشار.
٥٩. حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي ـ يسري محمد أرشد.
٦٠. دراسات إسلامية في الأسرة والمجتمع، الشيخ / محمد أبو زهرة.
٦١. دستور الوحدة الثقافية.
٦٢. دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، هلال حسين

٦٣. دور الوقف في دعم المؤسسات والوسائل التعليمية، د. صالح سليمان الوهيبي.
٦٤. رحلة ابن بطوطة، بدون رقم طبع، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٦٥. رحلة ابن جبير.
٦٦. رؤية في منهجية التغيير – عمر عبيد.
٦٧. سجل المحكمة الشرعية بالقدس، الأذن الشرعي، لسنة ١٢٥٣هـ..
٦٨. سماحة الإسلام، د/ أحمد محمد الحوفي.
٦٩. شخصية المرأة في الكتاب والسنة، د. خالد عبد الرحمن.
٧٠. شخصية المرأة في ضوء الكتاب والسنة.
٧١. شروط النهضة، مالك بن نبي
٧٢. شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي – حسني شيخ عثمان – العدد ١٧٩ من سلسلة رابطة العالم الإسلامي.
٧٣. صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم – العرب مخربون وقتلة، هارون هاشم.
٧٤. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي.
٧٥. علم النفس التكويني، د. عبد الحميد الهاشمي.
٧٦. لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم – الأمير شكيب أرسلان.
٧٧. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة د/ محمد حميد الله.

٧٨. محاضرات الأدباء، الأصبهاني.
٧٩. محمد والمرأة – د. سامية ميسي.
٨٠. مرآة الجنان لأبي محمد : عبد الله اليافعي
٨١. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
٨٢. مشكلة البطالة وعلاجها – دراسة مقارنة بين الفقه والقانون – د/ جمال حسن عيسى.
٨٣. مصنف عبد الرزاق،
٨٤. معالم المنهج الإسلامي لحماية البيئة، د/ محمد يونس.
٨٥. مقدمة د. عمر عبيد لكتاب: دور المرأة في خدمة الحديث النبوي في القرون الثلاثة الأولى
٨٦. مكانة بيت المقدس في الإسلام، د. إسحاق موسى الحسيني، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٣٨٨هـ - سبتمبر ١٩٦٨م.
٨٧. من أجل حوار لا يفسد للود قضية، د. محمود محمد عمارة.
٨٨. من توجيهات الإسلام، الشيخ محمود شلتوت.
٨٩. مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، د/ علي سامي النشار.
٩٠. منهجية التعامل مع المخالفين – سليمان عبد الله الماجد.
٩١. حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان، د/ محمد عمارة

٩٢. عبقرية عمر ـ عباس محمود العقاد.
٩٣. عمرو بن العاص النموذج للتأسي ـ عمر عبيد.
٩٤. نظرات في الإسلام، محمد عبد الله دراز.
٩٥. الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، تأليف: أليكسي جورافسكي، ترجمة د. خلف الجرار.
٩٦. التلوث وحماية البيئة ، د / محمد عبدو العودات.
٩٧. الأثر الذي يولده العنف على الأطفال، نجاه السنوسي.
٩٨. الإسلام عطاء وتنوير – د. عبد الفتاح غنيمة.
٩٩. جرائم العنف وأساليب مواجهتها – عباس محمود.
١٠٠. دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري – هلال حسين
١٠١. مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، حمدي شاكر محمود.
١٠٢. الوقف والتنمية الاقتصادية د. عبد الله الباحوث.
١٠٣. مذكرة أمين عام رابطة العالم الإسلامي إلى الكونجرس الأمريكي بشأن القدس الشريف.
١٠٤. المجلة الأمريكية للزراعة وسلوكيات البيئة، أ/ صفي الدين حامد ، واشنطن ، ١٩٩٦م.

المحتويات